حرّاس الطبيعة

سرقة طائر الكوندور

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION



»
بَيْنَما كانَ وليدٌ يَبْحَثُ عن المُتَحجِّرات، أخذَ فادي يُصَوِّرُ مياهَ نهرِ كولورادو العَكِرَةِ المُتَدَفِّقَةِ التي تَجْري على بُعْدِ مِئَةِ مِتْرٍ إلى الأَسْفَل.

– طائِرُ الكوندور! صَرَخَتْ مُنى فَجْأَةً مُتَعَجِّبَةً.

فقد ظَهَرَ طائِرٌ كَبيرُ الحَجْمِ، مُحلِّقاً في أَعالي السَّماءِ مُعْتَمِداً على اتّساعِ جَناحَيهِ العِمْلاقَيْن، فَبَدا يَتَهادَى في الفَضاءِ دونَ أن يَكونَ بحاجَةٍ لِتَحْريكِهِما.
«

في قلب وادي الأخدود الكبير، ينهمك حرّاس الطبيعة في سباق مع الوقت، ولن يمنعهم أيّ شيء من العُثور على البيضة المسروقة لنسر الكوندور في الوقت المحدَّد ورؤيتها وهي تفقس.



9 789953 375403

تَعْرِيفٌ بِأَبْطالِ القِصَّةِ



مني

فَتاةٌ مُراهِقَةٌ في الثّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها، حَسَنَةُ المَظْهرِ، حُلْوَةُ المَعْشرِ، شَغُوفَةٌ بِالقَضايا المُحِقَّةِ، مُغامِرَةٌ، مُسْتَعِدَّةٌ لِشَجْبِ الظُّلمِ.

فادي

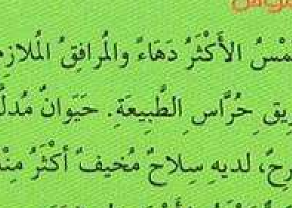
في العاشِرَةِ مِنْ عُمْرِه؛ هو الرِّياضِيُّ الجَرِيءُ في هذا الفَريقِ، وهو دائماً في طَليعَةِ المُغامِرينَ. ويُؤَمِّنُ الحِمايَةَ لِشَقيقِهِ التَّوأَمِ ولِشَقيقَتِهِ.





وليد

الشَّقيقُ التَّوأَمُ لِفادي والأَكْثَرُ تَعاطُفاً بَيْنَ أَفْرادِ فَريقِ حُرّاسِ الطَّبيعَةِ. وكَذلِكَ الأَكْثَرُ عَمَلانِيَّةً وتَدْبيراً. مَهْوُوسٌ بِالمَعْلُوماتِيَّةِ والتِّكْنُولوجيا، لديهِ أَكْثَرُ مِنْ وَسيلَةِ تَحايُلٍ في حاسُوبِهِ الخاصِ.



سَمُّوس

النِّمْسُ الأَكْثَرُ دَهاءً والمُرافِقُ المُلازِمُ لِفَريقِ حُرّاسِ الطَّبيعَةِ. حَيَوانٌ مُدَلَّلٌ ومَرِحٌ، لديهِ سِلاحٌ مُخيفٌ أَكْثَرُ مِنْهُ سِرِّيٌّ يَدْفَعُ بِالأَعْداءِ إِلى الهَرَبِ.







سرقة طائر الكوندور



تأليف
جان ماري دوفوسيز

رسوم
فابيان مانس

ترجمة
رداح شهاب



أكاديميا

سرقة طائر الكوندور

ISBN: 978-9953-37-540-3

Original title:
Le vol du condor

Cet ouvrage, publié dans le cadre du Programme d'Aide à la Publication Georges SCHEHADE, bénéficie du soutien du Ministère des Affaires Etrangères et Européennes et du Service de Coopération et d'Action Culturelle de l'Ambassade de France au Liban.

ينشر هذا الكتاب في إطار برنامج جورج شحادة لدعم النشر بدعم من وزارة الشؤون الخارجيّة والأوروبيّة، ومن مكتب التعاون والنشاط الثقافي التابع للسفارة الفرنسيّة في لبنان.

Academia International	أكاديميا إنترناشيونال
Verdun St., Byblos Bank Bldg.	شارع فردان، بناية بنك بيبلوس
P.O.Box 113-6669	ص.ب 113-6669
Beirut 1103 2140 Lebanon	بيروت 1103 2140 لبنان

Tel. (961 1) 800811 - 862905 - 800832 هاتف
Fax (961 1) 805478 فاكس
E-mail academia@dm.net.lb بريد إلكتروني

صدرت هذه الطبعة باتفاقية نشر خاصة بين الناشر
أكاديميا إنترناشيونال ومؤسّسة محمد بن راشد آل مكتوم

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم غير مسؤولة عن آراء المؤلّف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلف وليس بالضرورة عن رأي المؤسّسة.

www.academiainternational.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International

رسالة مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

عزيزي القارئ،

في عصر يتسم بالمعرفة والمعلوماتية والانفتاح على الآخر، تنظر مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم إلى الترجمة على أنّها الوسيلة المثلى لاستيعاب المعارف العالمية، فهي من أهمّ أدوات النّهضة المنشودة. وتؤمن المؤسّسة بأن إحياء حركة الترجمة، وجعلها محركاً فاعلاً من محركات التنمية واقتصاد المعرفة في الوطن العربي، مشروع بالغ الأهميّة ولا ينبغي الإمعان في تأخيره.

فمتوسط ما تترجمه المؤسسات الثقافية ودور النشر العربية مجتمعة، في العام الواحد، لا يتعدى كتاباً واحداً لكل مليون شخص، بينما تترجم دول منفردة في العالم أضعاف ما تترجمه الدول العربية جميعها.

أطلقت المؤسسة برنامج «ترجم»، بهدف إثراء المكتبة العربية بأفضل ما قدّمه الفكر العالمي من معارف وعلوم، عبر نقلها إلى العربية، والعمل على إظهار الوجه الحضاري للأمة عن طريق ترجمة الإبداعات العربية إلى لغات العالم.

ومن التباشير الأولى لهذا البرنامج إطلاق خطة لترجمة ألف كتاب من اللغات العالمية إلى اللغة العربية خلال ثلاث سنوات، أي بمعدل كتاب في اليوم الواحد.

وتأمل مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم في أن يكون هذا البرنامج الاستراتيجي تجسيداً عمليًا لرسالة المؤسّسة المتمثلة في تمكين الأجيال القادمة من ابتكار وتطوير حلول مستدامة لمواجهة التحديات. عن طريق نشر المعرفة، ورعاية الأفكار الخلاّقة التي تقود إلى إبداعات حقيقية، إضافة إلى بناء جسور الحوار بين الشعوب والحضارات.

للمزيد من المعلومات عن برنامج «ترجم» والبرامج الأخرى المنضوية تحت قطاع الثقافة، يمكن زيارة موقع المؤسّسة: www.mbrfoundation.ae

عن المؤسسة

انطلقت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بمبادرة كريمة من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وقد أعلن صاحب السموّ عن تأسيسها، لأوّل مرّة، في كلمته أمام المنتدى الاقتصادي العالمي في البحر الميت - الأردن في أيار/مايو 2007. وتحظى هذه المؤسّسة باهتمام ودعم كبيرين من سموّه، وقد قام بتخصيص وقفٍ لها قدره 37 مليار درهم (10 مليارات دولار).

وتسعى مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، كما أراد لها مؤسّسها، إلى تمكين الأجيال الشابة في الوطن العربي، من امتلاك المعرفة وتوظيفها بأفضل وجه ممكن لمواجهة تحديات التنمية، وابتكار حلول مستدامة مستمدّة من الواقع، للتعامل مع التحديات التي تواجه مجتمعاتهم.

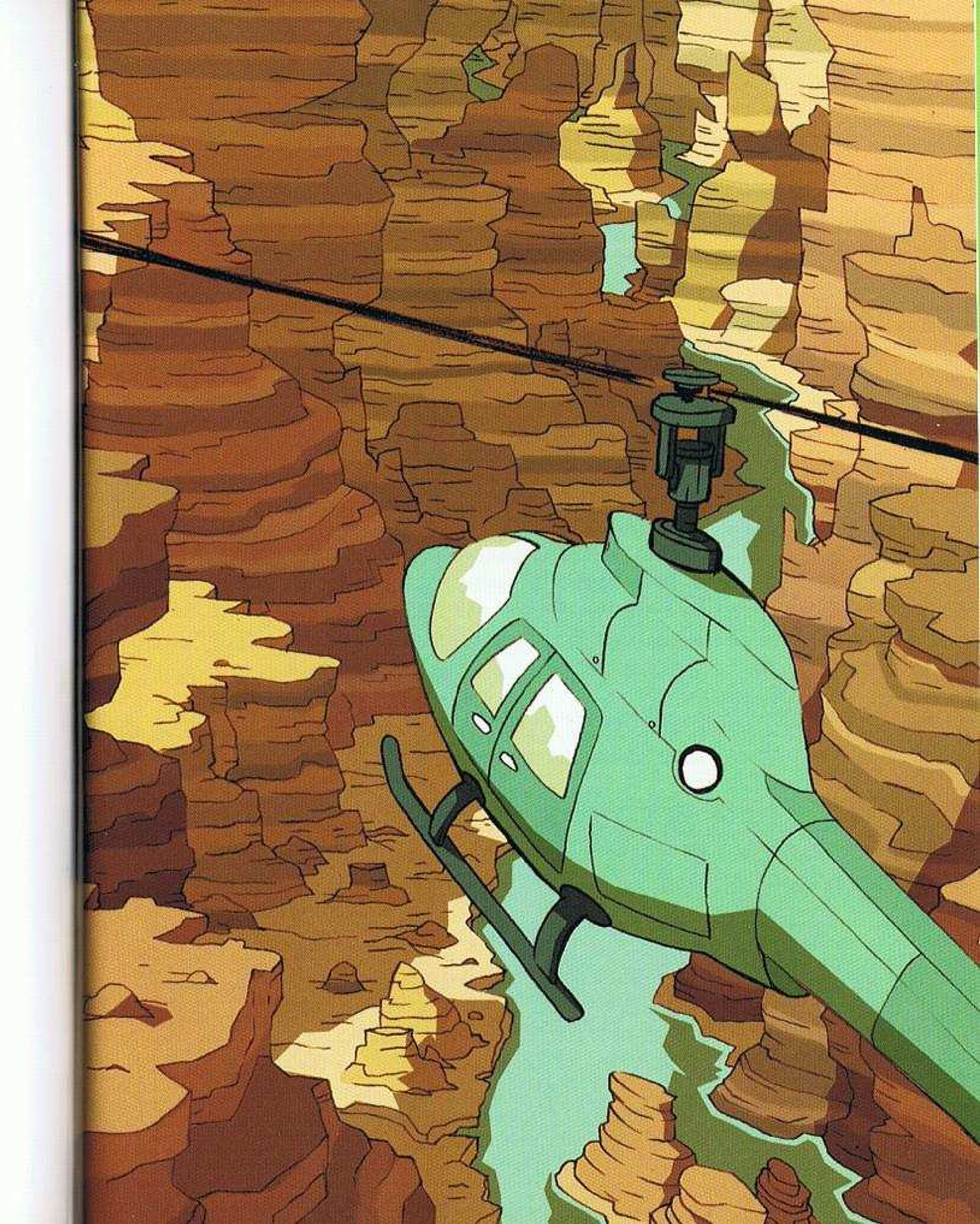


الفَصْلُ الأوَلُ

فِي قَلْبِ المُغامَرَةِ

- تَمَسَّكُوا جَيِّداً، سَنَهْبِطُ في الْحَالِ!

بالْكادِ تَسَنَّى لِمُنى ووليد وفادي والنِّمْس سَمُّوس الوَقْتَ للتَّمَسُّكِ بِمَقاعِدِهِم، إذ بَدؤُوا يَهْبِطُونَ باتِّجاهِ وادِي الأخدود الكَبِيرِ في الولاياتِ المتَّحِدَةِ، مِمَّا يَبْعَثُ على الدُّوارِ لِمُجَرَّدِ النَّظَرِ إلَيْهِ. وَقَدْ حَضَرَ أهالِيهم لأخْذِ صُوَرٍ لِواحِدٍ من أكْثَرِ الطُّيورِ المُهَدَّدةِ بالانْقِراضِ في الْعالَم: إنَّهُ طائِرُ الكونْدورِ (نَسْرُ كاليفورنيا). فَبَيْنَما كانوا يَستقِرُّونَ في أماكِنِهِم، كانَتْ ليلى عزيز، عالِمَةُ البيُولوجيا المَسْؤُولَةُ عَنْ مَرْكَزِ إنْقاذِ وَتَرْبِيَةِ الْكُوندورِ، قَدْ أحْضَرَتْ فَريقَ حُرَّاسِ الطَّبيعَةِ على مَتْنِ طائِرَةِ الهليكوبتر.



- واو! صَرَخَ فادي وهو الَّذي يَسْتَهويه حِسُّ المُغامَرةِ.

فضَّلَ وليدٌ وسمُّوس أَنْ يُغْمِضا أَعْيَنَهُما من الخوفِ.

أما منى، وعلى العَكْسِ منهُمَا، فقد بَدَت مَفْتُونةً بهذا المَشْهدِ الرّائع وهَتَفَتْ مُتَسَائِلَة:

- كَمْ يَبْلُغُ عُمْقُه؟

- 1200 مترٍ تَقْريباً، أجابَتْها ليلى باللّغةِ الفَرَنْسيَّة. أَيْ ما يُعادِلُ أربعَ أَضْعَافِ طول بُرجِ إيفل. لَقَدِ اسْتَغْرَقَ نهرُ



كولورادو مَلايينَ السِّنين في صَقْلِ الصُّخُورِ وإعْطَائِها الشَّكْلَ الذي هِيَ عَلَيْهِ اليوم.

وما هيَ إلا لَحَظاتٍ حتّى حَطَّتْ طائِرةُ ليلى في قَعْرِ وادي الأُخْدُودِ الكَبير. خَرَجَ حُرَّاسُ الطَّبيعةِ مِنَ الطَّائرةِ ولَحِقوا بليلى حتّى وَصَلوا إلى طَبَقَةٍ من الصُّخورِ الحَمْراءِ الفاتِحَةِ اللَّونِ. فقالَتْ ليلى:

- هُنا نَسْتَطيعُ إيجادَ أنواعٍ مِنْ ثُلاثِيَّاتِ الفُصُوصِ (تريلوبيت) المُتَحَجِّرَةِ التي مرَّ على وُجُودِها ستُّ مِئَةِ مليونِ سنةٍ. تَصَوَّروا أنَّ الدِّيناصُوراتِ لم تَكُنْ وُجدت بَعْدُ على سَطْحِ الأَرْضِ في ذلِك العَصْر!

- مُتَحَجِّرات! قالَ وليدٌ مُبْتَهِجاً. أنا أَعْشَقُ ذلك! والدِّيناصوراتِ أيضاً! مِنَ المُؤسِفِ أنَّها انْقَرَضَتْ نتيجةً لِسُقوطِ نَيْزَك...

- ولَكِنَّها لَمْ تَنْقَرِضْ كلُّها، أجابَتْهُ عالِمَةُ البيولوجيا مُسْتَدرِكَةً. وَيُقَدِّرُ المُخْتَصّونَ أَنَّ الطُّيورَ تَتحدَّرُ مُباشَرةً من

الدِّيناصُوراتِ. المُشْكِلةُ هِيَ أنَّ الإنسانَ أَصْبحَ يُشَكِّلُ بالنِّسبَةِ إليها، تَهْدِيداً أَسْوَأَ مِنَ النَّيازك.

- هَلْ تقولينَ ذلك بسببِ نُسُورِ الكُونْدورِ؟ سألَ فادي.

- هُناكَ أَمْرٌ آخَرُ. هَلْ تَعرِفُونَ كَمْ تَبقَّى مِنْ هَذهِ الطُّيورِ الرائعَةِ عام 1982؟

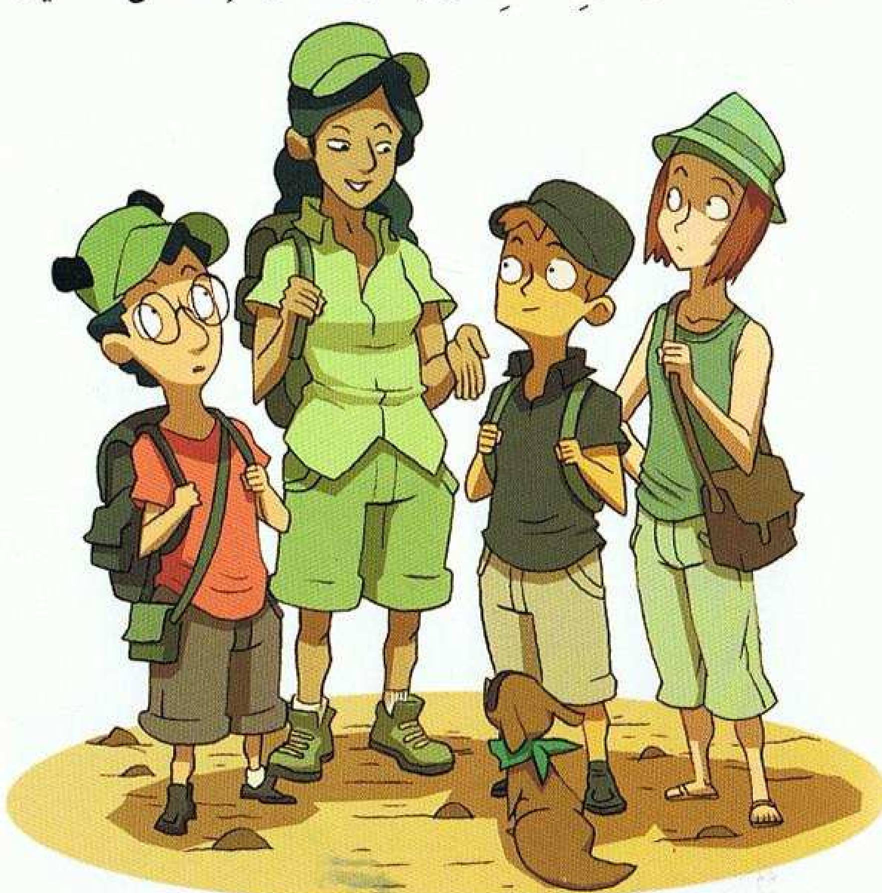
- مِئَةٌ؟ تَساءَلَ وليد.

- لا بَلْ إثنان وعُشْرونَ فَقَط! متاحِفُ العالَمِ بأَسْرِها تَبْعَثُ بِصيَّادِينَ لِجَلْبِ بيُوضِها. فكانَ المُزَارِعُونَ يَقْضُونَ على هذهِ الطُّيورِ الكبيرةِ ويدُسُّونَ السُّمَّ لها. ومن نَجا مِنْها فقد لَقِيَ حَتْفَهُ بارْتِطامِهِ بخُطُوطِ التَوَتُّرِ العالي. ولَوْ لم نَقُمْ بأَسْرِ النَّاجِينَ منها لِتَرْبِيَتِها، لَكانَ نَسْرُ كاليفورنيا في عِدادِ الحَيَواناتِ المُنْقَرِضَةِ، مِثْلَ التريلوبيت وَجميعِ الدِّيناصُوراتِ الكَبيرةِ.

- وعِوَضاً عن ذَلِكَ، تدَخَلَتْ منى مُوضِّحَةً، أي بفَضْلِ بَرْنامَجِ الإنْقاذِ، فَأَنْتُم تُطْلِقونَ الطُّيورَ في مُحيطٍ طَبيعيٍ.

يَعْتَزِمُ أهلُنا مُحاوَلَةَ الْتِقاطِ صُوَرٍ لأُنْثى الكوندورِ وهي تَضَعُ بُيوضَها.

- إذا تمكَّنوا من ذلِكَ، أوضَحَ فادي، فَسوفَ يكونُ إنجازاً، لأنَّ إناثَ الكوندورِ لا تَبيضُ إلاَّ بَيْضَةً واحِدَةً كُلَّ سَنَتَين.



- وفي حالِ خُروجِ الفَرْخِ مِنَ البَيْضَةِ! أَضافَتْ ليلى.

ستكونُ هَذِهِ أَوَّلَ عَمليَّةِ احْتِضانٍ لِبَيْضِ الكوندورِ في أريزونا مُنْذُ عِشْرينَ عاماً!

وَبَيْنَما كانَ وليدٌ يَبْحَثُ عن المُتَحَجِّراتِ، أخذَ فادي يُصَوِّرُ مياهَ نهرِ الكولورادو العَكِرَةِ المُتَدَفِّقَةِ التي تَجْري على بُعْدِ مِئَةِ مِتْرٍ إلى الأسْفَلِ.

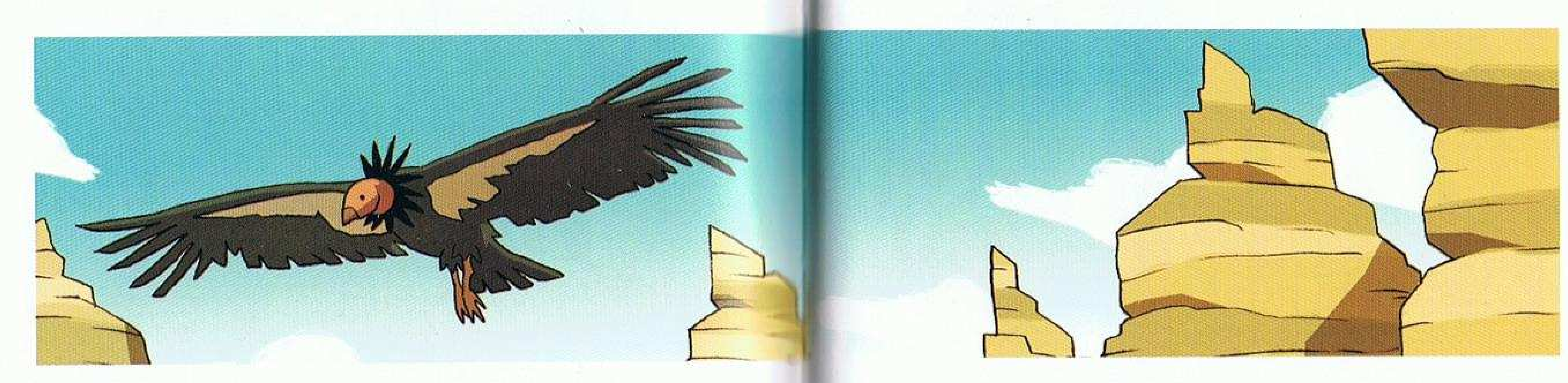
- طائِرُ الكوندورِ! صَرَخَتْ مُنى فَجْأَةً مُتَعَجِّبَةً.

فقد ظَهَرَ طائِرٌ كَبيرُ الحَجْمِ، مُحلِّقاً في أَعالي السَّماءِ مُعْتَمِداً على اتِّساعِ جَناحَيهِ العِمْلاقَيْنِ، فَبَدا يَتَهادَى في الفَضاءِ دونَ أن يَكونَ بحاجةٍ لِتَحْريكِهِما.

- رائِعٌ، تَمْتَمَ وليد.

- سَتَرَوْنَ، أَكَّدَتْ ليلى وهي عائِدَةٌ إلى طائرةِ الهليكوبتر. أَنَّها أكثرُ رَوْعَةً عَنْ قُرْبٍ.

ومِنْ ثَمَّ الْتَقَى حُرَّاسُ الطَّبيعةِ بِأَهْلِهِم عِنْدَ قِمَّةِ ضَفَةِ الوادي الكَبير، على بُعدِ بِضْعَةِ كيلومِتْراتٍ من مَرْكَزِ تربيةِ طُيُورِ الكوندورِ. وكانَتْ عائِلَةُ السَّيِّدِ نعيم مُسْتَغْرِقَةً في نِقاشٍ مُسْتَفيضٍ مع السَّيِّدِ داود، مديرِ الْمَركَزِ، ورياض فؤاد، الطَّالِبِ المُتَطَوِّعِ في المَرْكزِ. حيثُ إنَّه منذُ ثلاثةِ أعوامٍ



يُراقِبُ وَيَسْهَرُ على طُيُور الكوندور خِلالَ فَتْرَةِ عُطْلتِهِ.

- في هذا القِطاعِ، سَتَنْعَمونَ بالرَّاحَةِ، أخَذَ «رياض» يشْرَحُ باللُّغَةِ الإنكليزيةِ. لَنْ يَأتِيَ أيُّ سائحٍ إلى هُنا والعُشُّ مَوْجُودٌ تماماً على الصَّخْرَةِ المُقَابِلةِ.

- سنُزَوِّدُكُم بِسَيَّارَةِ الدَّورِيَة، أكَّد المديرُ ذلكَ. فباسْتِطاعَةِ أَوْلادِكُم أن يُقِيموا في المَرْكَزِ. سَيَشْعُرونَ بالرَّاحَةِ والاطمِئْنانِ هم وَنِمْسُهُم.

أجابَ فادي، وهو يَتَكَلَّمُ الإنْكليزيةَ بطلاقةٍ:

- إنَّ النَّومَ على أرضِيَّةٍ قاسِيةٍ لا يُخيفُنا.

أجابَتْه منى مُصَحِّحَةً ما قالَهُ:

- تَكَلَّمْ عن نَفْسِكَ. فدونَ فِراشٍ مُريحٍ، ودونَ اسْتِحْمامٍ خلالَ النَّهارِ، أُصْبِحُ شَخْصاً لا يُطاق....

- حَتَّى بدونِ ذلك... عَلَّق وليد مُمَازِحاً.

- إذاً، تَعالَوْا إلى المَرْكَزِ لِقَضاءِ بِضْعَةِ أيامٍ، اقْتَرَحَتْ ليلى. بِإمكانِكُم مساعَدَتَنا.

وَصَلَتْ عائِلَةُ السَّيدِ نعيم لِتَوِّها إلى الولايات المتَّحِدةِ، وحَلَّتْ في وادي الأخدود الكَبيرِ، لِتَشْهَدَ وِلادَةَ فَرْخِ طائِرِ الكُوندورِ.

الفَصْلُ الثَّاني

دُمًى غَريبَةٌ

في الْيَومِ التَّالي، رافَقَ ليلى كلٌّ من منى ووليد وفادي، يَتْبَعُهُم النِّمسُ سَمُّوس لِمشاهَدَةِ الآلَةِ الْحاضِنَةِ. كان المَكانُ مُجهَّزاً بِسِلْسِلَةٍ مِنَ السَّتائِرِ البُنِّيَّةِ اللَّونِ وبِعَلاَّقَةِ مَعاطِفٍ وَقَدْ عُلِّقَتْ عَلَيْها دُمًى لها رأْسُ كَرأْسِ طائِرِ الكوندور.

– لِيأخُذْ كلٌّ مِنْكُم واحِدَةً من هذِهِ الدُّمَى، اقْتَرحَتْ عالِمَةُ البيولوجيا وقد بدا الْغُمُوضُ على وَجْهِها.

أَخَذَ وليدُ يَضْحَكُ قائِلاً:

– ما الذي سَنَفْعَلُه؟ هَلْ سَنَرْوي القِصَصَ لِلْفِراخِ كي تَنام؟



وبصَوْتٍ مُنْخَفِض، هَمَسَتْ ليلى:

- هُناكَ صِغارٌ للكوندور مَوْجُودةٌ في أَقْفاص خَلْفَ السَّتائِرِ. حيثُ فُتِحَتْ ثُقوبٌ خِصِّيصاً لِمُراقَبَتِها.

كانَتْ مُنى أَوَّلَ من تقدَّمَ منها.

- أوه! ما أَظْرَفَها بِريشِها الأبيضِ وَعُيونِها السَّوْداءِ الكَبيرةِ!

أَخْرَجَتْ لَيْلى قِطَعاً من اللَّحْمِ من الثَّلاجَةِ شارِحَةً:

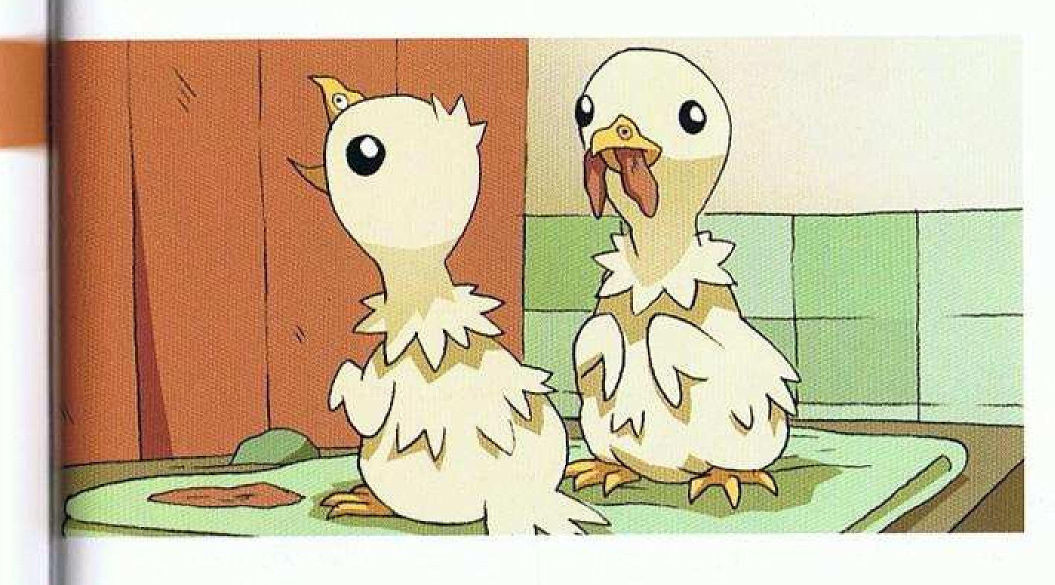
- نَهْتَمُّ بالصِّغارِ بأنْفُسِنا لِنَزيدَ مِنْ حُظُوظِها في العَيْش. ولكِنْ يجِبُ عَلَيْنا أَنْ نَبْقَى بَعيدينَ عن أَعْيُنِها كي لا تَعْتادَ على البَشَرِ. نحنُ نُمرِّرُ فَقَط الدُّمَى من النَّاحيَةِ الأُخْرَى للسَّتائِرِ وَنَضَعُ قِطَعَ اللَّحْمِ مُباشَرَةً في مِنْقارِهَا، مثلما كانَتْ تَفْعَلُ أمَّهاتُها.

- هذا مُمْتِعٌ! قال فادي وهو يَرفَعُ سمُّوسَ على مُسْتَوى فِراخِ الكُوندورِ الصَّغيرَةِ.



- هذا هامٌّ جِدّاً، أَصرَّتْ ليلى. فبعدَ عَمَليةِ التَّفْقيسِ تَخْرُجُ الفِراخُ وهي مُتَطَبِّعة، أي أنَّها سَتَخْتارُ أيَّ أُنْثى تَتَواجَدُ في مُحيطِها كَأُمٍّ لها.

- كيفَ هذا؟ قالَتْ مُنى مُتعجِّبَةً. إذاً، ليسَ بالضَّرورةِ أنْ تكونَ الأُنْثى هي نفسها التي أعْطَتِ البُيوض؟



- لا، إنَّها تَخْتارُ الشَّيءَ الأَكْثَرَ حَرَكَة. وإنْ لم يَكُنْ هُناكَ شَيءٌ يَتَحَرَّكُ، فَإنَّ باسْتِطاعَتِها أن تأخُذَ رُزْمَةً من القُماشِ وُضِعَتْ إلى جانِبِها أو حتَّى المِصْباحَ الذي يُضِيءُ المكانَ لها. ثمّ عِنْدَمَا تَطْلُبُ شريكاً للتَّكاثُرِ، فهي سَتَبْحَثُ عن شيءٍ ما يُشابِهُ الأمَّ. فإذا وُجِدَ هذا الشَّريكُ وكان طائِرُ الكوندور فهذا جَيِّدٌ. ولكن إذا كانَ الإنْسانُ، وهُوَ مَنْ يُوَفِّرُ الغِذاءَ لها دُونَ الدُّمى أو المِصْباحِ الذي يُؤَمِّنُ لها الدِّفْءَ، فلن تُرْزَقَ هذه الطُّيورُ بِفِراخٍ.

- في كُلِّ الأحْوالِ، قال وليدٌ مُتَعجّباً. ما هذه الشَّهيَّةُ! هَلْ رَأيْتَ هذا يا سمُّوس؟ إنَّها تَبْتَلِعُ الطَّعامَ دونَ مَضْغِهِ.

- في الواقعِ، سَخِرَتْ منى وهي تُحَدِّقُ النَّظَر في شَقيقِها. إنَّها تُذَكِّرُني بأحَدِهِم خِلالَ تَناوُلِهِ وَجْبَةَ الفُطُورِ هذا الصَّباح!

وتابعَ فَريقُ حُرَّاسِ الطَّبيعَةِ الزِّيارَةَ برِفْقَةِ زميلَي ليلى كمال ومنير، بِهَدَفِ إرْشادِ طُيُورِ الكوندورِ كي لا يَصْعَقُها التَّيارُ حينَ تَحُطُّ على أعْمِدَةِ الكَهرباءِ. فقد جَهَّزَ هذانِ الرَّجُلانِ الحَظيرةَ الواسعَةَ لتَرْبيةِ الطُّيورِ بأعْمِدَةٍ كَهْرَبائيَّةٍ زائفةٍ تُرسِلُ شِحْناتٍ كَهْرَبائيَّةٍ خفيفةٍ تَشْعُرُ بها الطُّيُورُ عِنْدَما تَحُطُّ عَلَيْها. هكذا تَتَعَرَّفُ فِراخَ الكوندور وبسُرْعَةٍ على المَجاثِمِ الطَّبيعيَّةِ الآمِنةِ والبَعيدةِ عَنِ الأَخْطارِ.

كرَّسَ الثلاثِيُّ فَتْرَةَ بعدَ الظُّهرِ على شُرْفَةِ المُراقَبَةِ لأجْلِ مُساعَدَةِ رياض، بينما كان سَمُّوسُ يأْخُذُ قيلولَةً تحْتَ

أَشِعَّةِ الشَّمس. وأخذَ الأولادُ يُراقِبُونَ طُيُورَ الكوندورِ وهي طَليقةً غيرَ مُقيَّدةٍ، وسَجَّلُوا حَرَكَةَ ذَهابِها وإيابِها، بِدِقَّةٍ. وفي نِهايَةِ النَّهارِ انْضَمَّتْ إليهم ليلى على عَجَلٍ.

- أَيُّها الأولادُ! لقد اتَّصَلَ أَهْلُكُم للتَّوِ. وأُعْلِمُكُم أنَّ أُنْثى الكُوندورِ قد باضَتْ!

صَعِدَ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ، ورياض، وليلى وَزميلاها فَوراً في سَيارَةِ الدَّوريَةِ وتَوَجَّهُوا إلى المُعَسْكَرِ، حيث اسْتَقْبَلَ السَّيِّدُ نعيم المَجْمُوعَةَ بابتِسامَةٍ عَريضَةٍ.

- إنَّ البَيضَةَ مَوجودَةٌ داخِلَ العُلْبَةِ، هَنَأَ السَّيِّدُ نعيم نَفْسَهُ قائلاً. للمَرَّةِ الأُولى في العالَمِ اسْتَطَعْنا تَصْويرَ عمليَّةِ إباضَةِ طَيْرِ الكوندورِ في وادي الأُخْدُودِ الكبير!

اسْتَكْشَفَ الأولادُ ما حَوْلَهُم عَبْرَ المِنْظارِ المُرَكَّزِ على الصَّخْرَةِ المقابِلَة. وعِنْدَ حافَّةِ إحْدَى المَغاوِرِ الصَّغيرَةِ، بَنَتْ أُنثى الكوندورِ عُشَّها وغَطَّتْهُ بِرِدائِها الجَميلِ من الرِّيشِ الأَسْوَدِ. فقالَت لَيْلى:



- إنّي جِدُّ متأثِرَةٍ، فالسَّيِّدُ داود يَقْضي نَهارَهُ في زِيارَةٍ لِحَديقةِ الحَيَواناتِ في لوس أنجلوس. وقدِ اتّصَلْتُ به لِكَي أزُفَّ إليهِ الخَبَرَ السَّارّ.

- في الوَقْتِ الحاضِرِ، أَعْلَنَتِ السَّيِّدَةُ نعيم، يَجِبُ أن تُحْضَنَ هذهِ البَيْضَةُ بِشَكْلٍ صَحيحٍ كي تَمْنَحَ الحياةَ لِطائِرٍ آخَرٍ.

- سَوْفَ نُتابِعُ كُلَّ ذلك، أَكَّدَ السَّيدُ نعيم.

بينما يقومُ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ باكتشافِ المرْكزِ، صَوَّرَ أهلُهُم عَمليَّةَ الإباضَة. يَجِبُ الآنَ أَنْ نَنْتَظِرَ حَتى تَفْقِسَ البَيضَة.

الفَصْلُ الثَّالِث

اخْتِفاءُ البيضَةِ

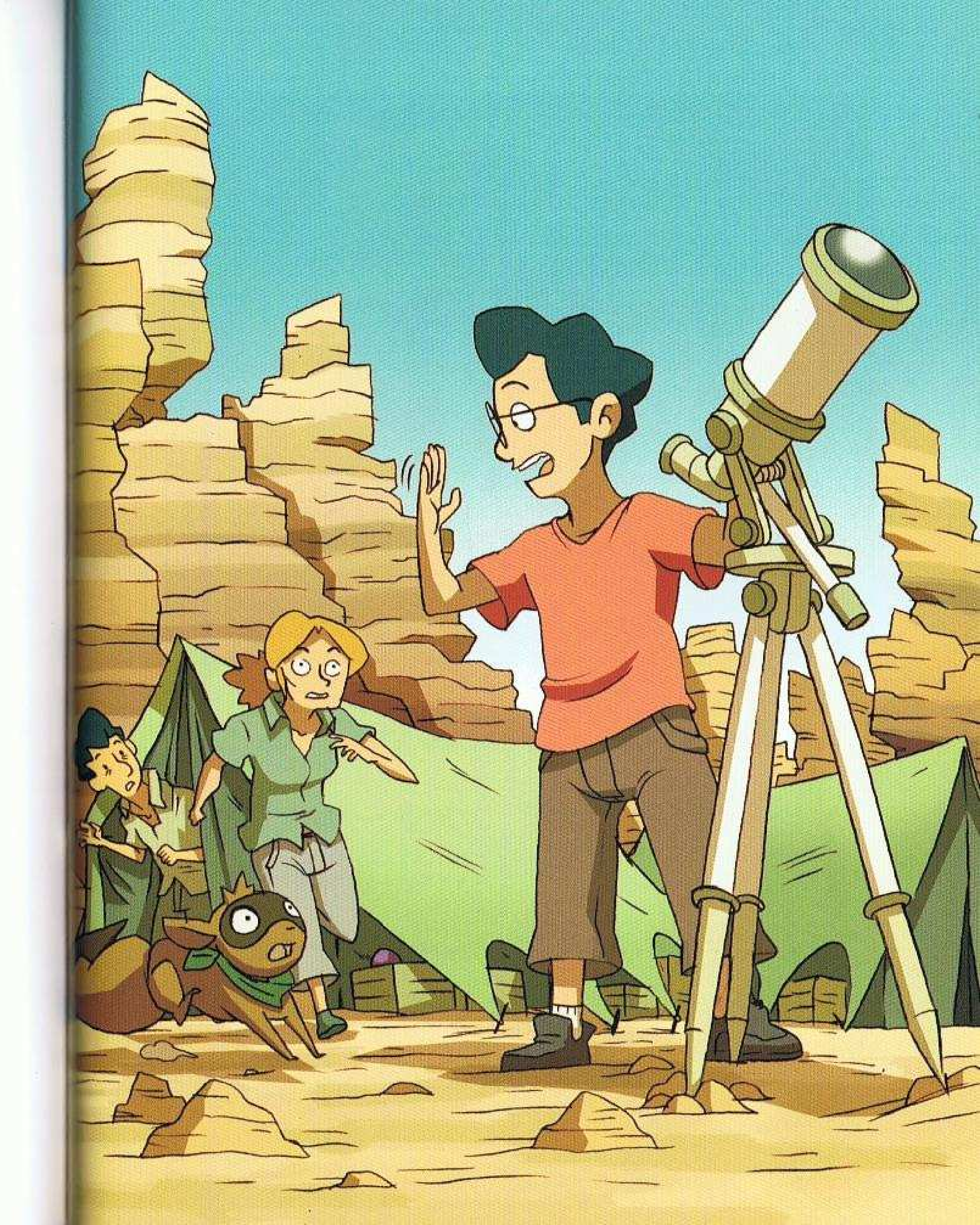
عادَتْ ليلى وَفَريقُها لوَحْدِهِم إلى المَرْكزِ. وَقَرَّرَ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ قضاءَ اللَّيْلَةِ في المَكانِ.

وفي اليَوْمِ التَّالي، اسْتَيْقَظَ وليدٌ مع أُولى خُيُوطِ الفَجْرِ. وَخَرَجَ من الخَيْمَةِ ليُراقِبَ عُشَّ الطَّائِرِ بواسِطَةِ المِنْظار.

– يا لَلْهَولِ! صَرَخَ وليدٌ فَجْأَةً. هذا غَيْرُ مُمْكِنٍ... أبي! أُمي! إنَّها بَيْضَةُ طائِرِ الكوندور...

– ماذا! بَيْضَةُ طائِرِ الكوندورِ؟ انْتَفَضَ السَّيِّدُ نعيم مَذْعُوراً وهوَ لا يَزالُ في سريرِه.

– لقد... اخْتَفَتِ البَيْضَةُ!



وَلم يَلْبَثِ السَّيِّدُ نعيم وَزوجَتُهُ أنْ أسْرَعَا إلى الخارِجِ. فَعلى المُنْحَدَرِ الصَّخْرِيِّ، كانَتْ أُنْثَى الكوندور لا تَزالُ في عُشِّها، وعِنْدَمَا كانَتْ تَتَحَرَّكُ لَمْ يكُن يَظْهَرُ أيُّ أثَرٍ للبَيْضَةِ.

وبَعْدَ مُضيٍّ ساعَةٍ من الزَّمنِ وَصَلَ السَّيِّدُ داود إلى المَكانِ بعد إبلاغِهِ ما حَصَلَ، يُرافِقُهُ كُلٌّ من رياض وليلى.

وبينما كانَتْ عائِلَةُ السَّيِّدِ نعيم تُناقِشُ المَوضُوعَ مع المديرِ، أَجْرَتْ ليلى اسْتِكْشَافاً للمُنحَدَرِ الصَّخريِّ بواسِطَةِ المِنْظارِ. وعلى بُعْدِ عِشْرينَ متراً إلى الأَسْفَلِ من عُشِّ الكوندورِ لَمَحَتْ ليلى شَكْلاً بَيْضاوياً.

– وَجَدْتُها! صَرَخَتْ ليلى. إنَّها تَبْدُو سَليمةً، فلم يَلْحَقْ بها أيُّ أذًى بعد سَقُوطِها مِنَ العُشِّ. إنَّهُ أمْرٌ لا يُصَدَّقُ! فَكَّرَتْ لِلَحْظَةٍ، ثُمَّ أَضافَتْ:

– إنَّ بَيْضَ طائِرِ الكوندور نادِرٌ جداً لذا يَتَوَجَّبُ عَلَيْنا تَوْفيرَ الحِمايَةِ له. عليَّ أَنْ أَنْجَحَ في الهُبُوطِ بالهِليكوبترِ على

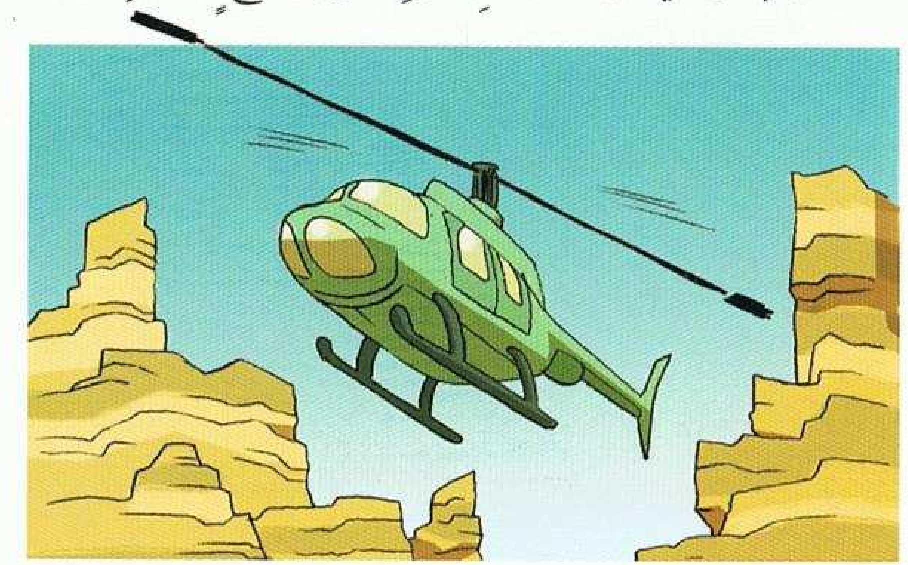
السَّطْحِ الصَّخْرِيِّ الواقِعِ على بُعْدِ عِشْرينَ متراً إلى الأَعْلى.

عادَ فريقُ حُرَّاسِ الطَّبيعَةِ أَدْراجَهُ إلى المَرْكَزِ، وقد قَرَّرَ أن يَعْمَلَ كلَّ ما من شَأْنِهِ أن يَعُودَ بالمَنْفَعَةِ على الغَيْرِ. فقالَ كَمال:

– حَمِّلوا ما تبقَّى من عِتادِ التَّسَلُّقِ إلى الهليكوبتر.

– واصْعَدوا على مَتْنِها! تابَعَ منير. سَوْفَ نُقْلِعُ.

لَيسَ الأَمْرُ بَسيطاً حينَ تَشُقُّ الطَّائِرَةُ طريقَها بَيْنَ الصُّخُورِ! تَوَجَّهَتْ ليلى بالطَّائِرَةِ مباشَرَةً نحو الضِّفَّةِ الشِّماليَّةِ للوادي، وحَطَّتْ بِهُدُوءٍ على سَطْحٍ مُمَهَّدٍ فيها.



- هذا جيدٌ، قَدَّرتْ ليلى بَعْدَ أن تَفَقَّدَتِ المكانَ. الصَّخْرَةُ صُلْبَةٌ. فادي، لَسْتَ مُجْبَراً على المُوافقةِ، ولكِنَّكَ رياضيٌّ على ما أعْتَقِدُ. فإذا كُنْتَ تُريدُ الذَّهابَ إلى هُناكَ، فإنَّ منيراً وكمالاً سَيُساعِدانِكَ بِسُهولَةٍ أكْثَرَ منِّي في الصُّعُودِ إلى الأعْلى.

ورُغْمَ نَظْرَةِ القَلَقِ البادِيَةِ على شَقيقِهِ التَّوأمِ وشَقيقَتِهِ، لم يَتَرَدَّدْ فادي لَحْظَةً. وَجَهَّزَ نَفْسَهُ برافِعَةٍ، وخُوذَةٍ، وكيسٍ لِنَقْلِ البَيْضَةِ. ثُمَّ داعَبَ سمُّوس وانْطَلَقَ في الفَضاءِ.

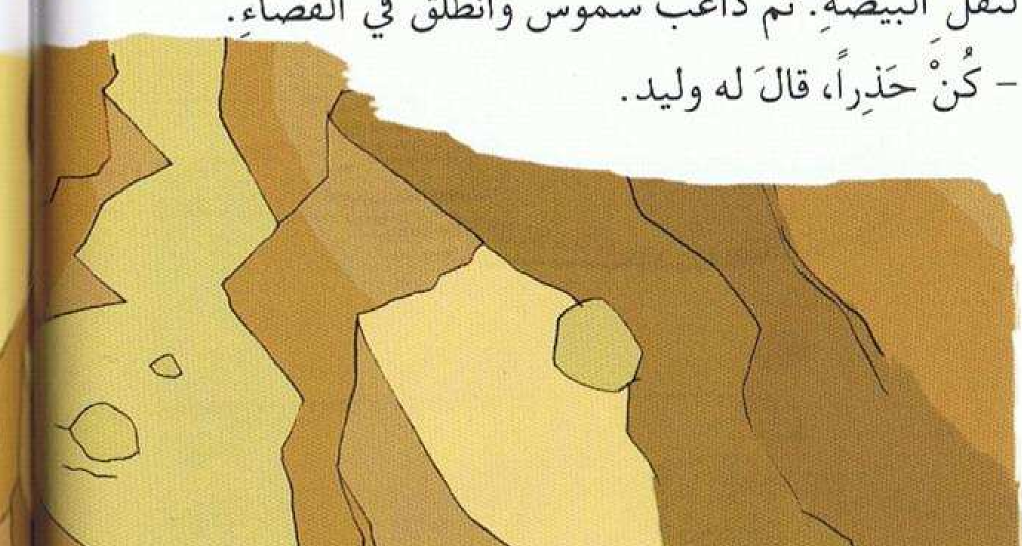
- كُنْ حَذِراً، قالَ له وليد.

- أَعِدُكَ بذلكَ.

كانَ المُنْحَدَرُ الصَّخرِيُّ مُدَبَّبَ الجوانِبِ. ولكنَّ فادي تَدَبَّرَ أَمْرَهُ ببراعَةٍ. وبواسِطَةِ الحِبالِ، اسْتَطاعَ الوصُولَ إلى عُشِّ طيورِ الكوندورِ. ومِنْ ثَمَّ تابَعَ بِحَذَرٍ عَمَليةَ النُّزولِ.

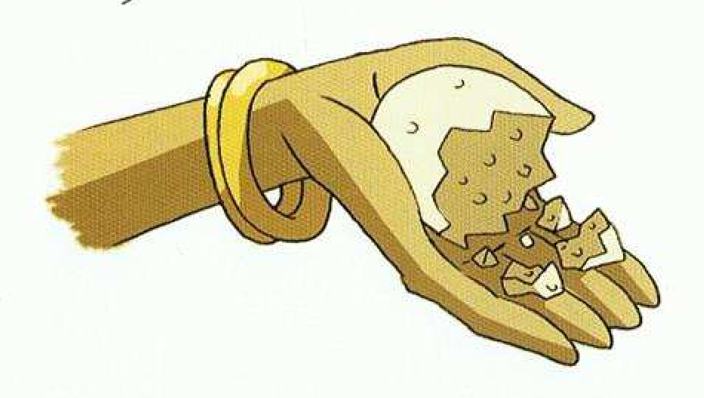
- وَجَدْتُها، صَرَخَ فادي وهو يَنْتَزِعُ البَيضَةَ. إنِّي مُمْسِكٌ بها!

اسْتَجْمَعَ منير وكمال قُوَّتَهُما ورَفَعا فادي إلى مُسْتَوى طائِرَةِ الهليكوبتر.



– ولكن... ما هذا؟ قالَتْ ليلى وهي تَفْتَحُ الكيسَ.

ثم تَناوَلَتِ البَيضَةَ بيَدِها وأَخَذَتْ تَضْرِبُها على حَجَرٍ لثلاثِ مَرَّاتٍ مُتَتالِيَةٍ. وقد ذُهِلَ كُلٌّ من منير وكمال وحُرَّاسِ الطَّبيعَةِ، حتَّى أنَّ سمُّوس بدا مُنْدَهِشاً. فقد تَناثَرَتِ البَيْضَةُ قِطَعاً صَغيرَةً في الهَواءِ. وهكذا اتَّضَحَ أنَّها بيضَةٌ مُزَيَّفَةٌ مَصْنوعَةٌ مِنَ الجَفْصينِ الأَبيضِ.



– أَخْشَى أنْ أَفْهَمَ مَدْلولَ ذلك، تَمْتَمتْ مُنى.

– وأنا أيضاً... اعْتَرَفَتْ ليلى.

– أوضِحِي لي، تَساءَلَ فادي. هل قَدِمَ أحدُهُم من المَرْكَزِ إلى هُنا؟

– لا، لماذا؟

– لأنَّه يُمكِنُ القولُ إنَّ آثارَ أَعْشابٍ يابِسَةٍ قد وَطَأْتها أَقْدامُ أَحَدِهِم.

أَكَّدَ منير الفِكْرَةَ. ففي بَعْضِ الأماكِنِ بدا الرَّمْلُ وكأنَّه قد مُهِّدَ لِمَحْوِ الآثارِ.

– اكتَشَفْتُها! قالَ وليد. لَقَد قَدِمَ أَحَدُهم إلى هنا هذهِ اللَّيلَةِ وسَرَقَ البَيْضَةَ، واسْتَبْدَلَها بِبَيْضَةٍ مُزَيَّفَةٍ، حتى لا يَشْتَبِهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ ما.



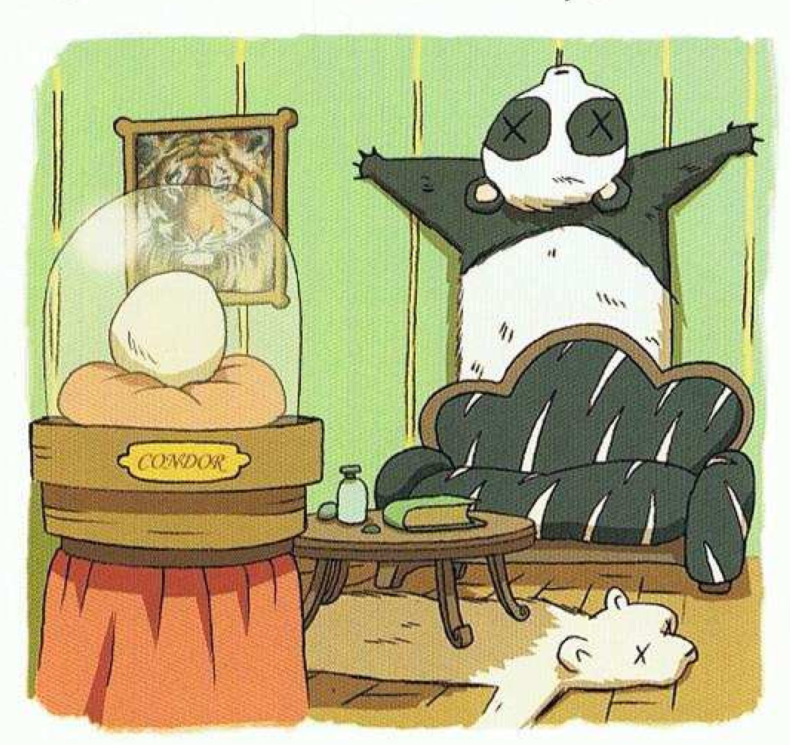
- هذا ما جرى فِعْلاً، تابعَتْ مُنى. فَقَدْ رَفَضَتْها الأُنثى.

- أَو رُبَّما انْزَلَقَتِ البيضَةُ المزيَّفَة مِنْ بين يَدَيِّ السارقِ، قالَ فادي.

هزَّتْ ليلى رَأْسَها وقالَت:

- لماذا نُشْغِلُ أَنْفُسَنا إلى هذا الحَدِّ؟

- ربما لإعادَةِ بَيْعِ البَيْضةِ لِمَنْ يَهْوى تَجْميعَها! اقْتَرَحَ وليد.



لقد أَخْبَرَنا عمُّنا أنَّ هناكَ مِن يَشْتري جِلْدَ دُبٍّ الباندا، فَلِمَ لا يوجَدُ الكثيرُ من النَّاسِ عَديمي الضَّمير يَحْلُمونَ بامْتِلاكِ قِشْرَةَ بَيْضةٍ نادِرَة كهذه؟

تَداوَلَتْ ليلى مَعَ زَميلَيْها بَعْضَ الكَلِماتِ وَقَرَّرَتْ إبلاغَ الشَّرِكَةِ. بحيثُ لَنْ تَتْرُكَ أيَّ آليَّةٍ تُغادِرُ مُنْتَزَهَ وادي الأخدود الكبير دونَ أن تَخْضَعَ للتَّفْتيشِ!

أَبْدَى وليد قَلَقَه، ثم قالَ:

- نَأْمَلُ أن لا يَكونَ قد فاتَ الأوانُ.

- أَجَل، تَنَهدَّتْ مُنى. نَرْجو ذلك...

لم تَخْتَفِ البيضَةُ بِبَساطَةٍ، ولكنَّها حَتْماً سُرِقَتْ.
وَلَكِنْ مِنْ قَبلِ مَنْ؟ وَكَيْفَ؟

الفَصْلُ الرَّابِع

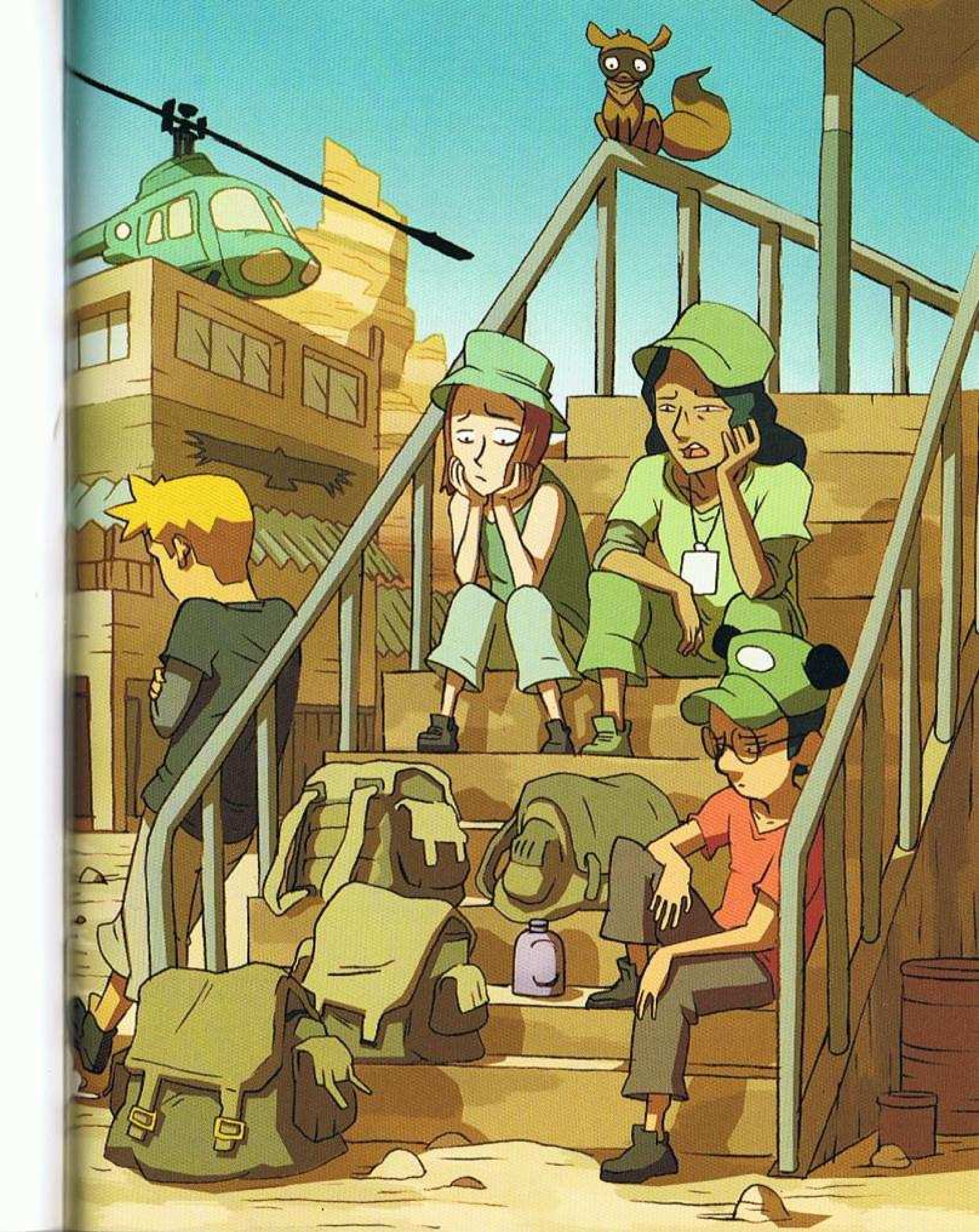
تَعَقُّبُ الأدِلَّةِ

بالعَوْدَةِ إلى المرْكَزِ، حيثُ احْتَشَد الجَميعُ، شَرَحَتْ ليلى قائِلَة:

– إنّ جَدَّتِي من أَصْلٍ هِنْديّ. عاشَ شَعْبُها خِلالَ قُرُونٍ بِرِفْقَةِ طُيُورِ الكوندور.

وأَخْرَجَتْ صُورَةً من جَيْبِها وأَكْملَتْ سَرْدَها قائِلَةً:

– كَما تُلاحِظون في هذا المَكانِ، فإنَّ شَكْلَ المُنحَدَرِ الصَّخْرِيِّ يُشبهُ طائِرَ كوندورٍ باسِطاً جَناحَيه. وهذا المَكَانُ كانَ يُعْتَبرُ مَكَاناً مُقدَّساً. أمّا اليومَ، فَلم نَعُدْ نكِنُّ احتِراماً لأيِّ شَيءٍ. ماذا سيَبْقى عِنْدَما سيَعْمَلُ الإنسانُ على تَخْريبِ كُلِّ شَيْءٍ؟ مَعَ أنَّ الطَّبيعةَ غالِيَة كَثيراً، فأنا لا أَفْهَمُ ما الَّذي يَحْصَلُ...



في هذا الوَقْتِ تَدَخَّلَتِ السَّيِّدَةُ نعيم قائلة:

- ولكنْ من حُسْنِ الحَظِّ أنَّه يوجَدُ أشْخَاصٌ مِثْلُكم، يُحاوِلونَ إحْداثَ تَغْييراتٍ.
- وماذا لو وَجَدنا البيضَةَ؟ تَساءلَ فادي. هل لا زالَ الوقْتُ يَعْمَلُ لصالِحِنا؟
- إنَّ البَيْضَةَ المَحْضونَةَ يَجِبُ أن تُحْفَظَ على دَرَجةِ حَرارةٍ مُعيَّنَةٍ وإلاَّ فإنَّ الفَرْخَ الذي يَتَكَوَّنُ داخِلَها يكونُ مَحْكُوماً عليه بالمَوتِ. ولكنْ بما أنَّ البَيْضَةَ لم تُحضَنْ لأكْثَرَ من يومٍ واحدٍ، فالنُّطْفَةُ داخِلَها لم يَتَسَنَّ لها أن تَتَكَوَّنَ بعدُ. لذا فَقَدْ يكونُ هناكَ بَعْضُ الأمَلِ...

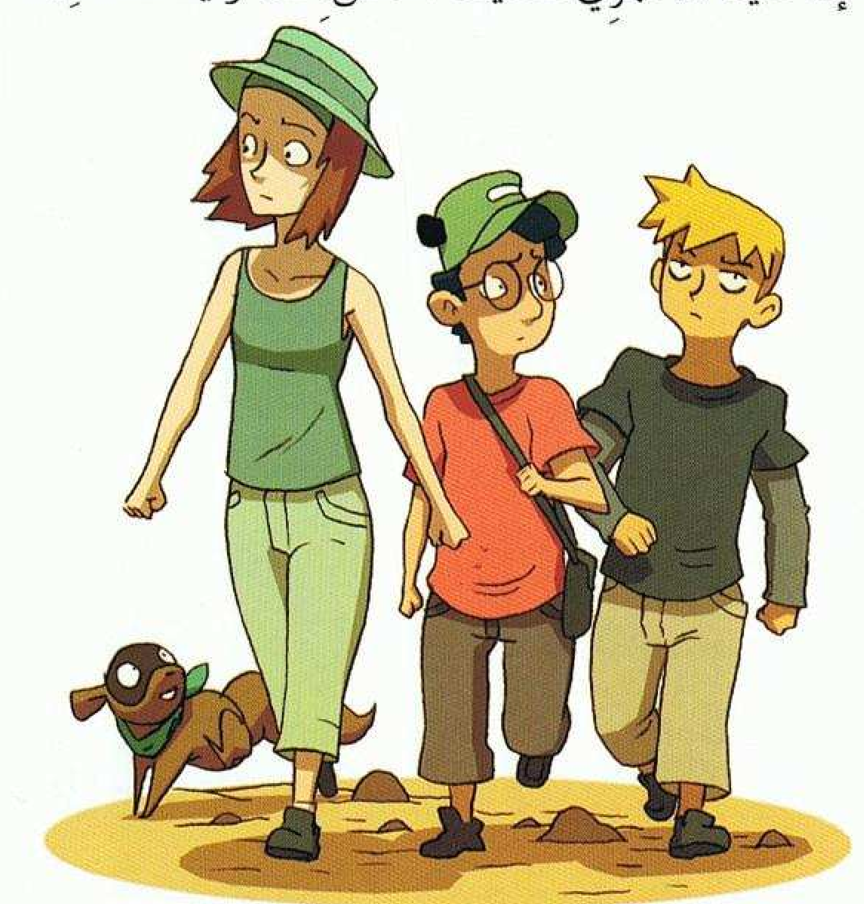
في نِهايَةِ الأُمْسيَةِ، أَخَذَتْ منى سمُّوس وَشقيقَيْها جانِباً وَفَكَّرَتْ مَلِيّاً. فَبِحَسَبِ تَقْديرِها أنَّ السَّارِقَ شَخْصٌ أرادَ التَّصَرُّفَ بِتَكَتُّمٍ شَديدٍ وَعَرِفَ جَيِّداً الشَّكْلَ والحَجْمَ الحَقيقيين لِبَيْضَةِ طائِرِ الكوندورِ، فقالت:



- لا بُدَّ أن السَّارِقَ كان على دِرايَةٍ بأنَّ أُنْثى الكوندورِ قد باضَت.
- ما هي اسْتِنْتاجاتُكِ؟ سَألَها وليد.
- هُناكَ احْتِمالٌ كَبيرٌ أن يكونَ الفاعِلُ شخصاً من المَرْكَزِ.
- كان من الأَسْهَلِ على السَّارِقِ أن يأخُذَ البَيْضَةَ من الحاضِنَةِ. لاحظَ فادي.
- ولكِنْ كانَ الآخَرُونَ سَيَعرِفُونَ بِعَمَليَّةِ السَّرِقَةِ. هُنا، لو

حضَنَتْ الأُنْثى البَيْضَة المُزَيَّفَة خِلالَ شهرٍ كامل، لوَجدَ المُذنِبُ أمامَه الوَقْتَ الكافِي للْهَرَب! فَكِّروا؟ سَوْفَ تُفتِّشُ الشَّرِكَةُ في كلِّ مكانٍ... ما عَدَا هُنا!

– إذاً علينا أن نُجرِيَ تَحْقيقَنا الخاص، قالَ وَليد مُسْتَنْتِجاً.



– هذا صحيح، أَجابَتْ مُنى، فَلْنَبْدأْ بِأَسْرَعِ وَقْتٍ بالبحثِ عن الفاعِل!

شَرَعَ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ بِرِفْقَةِ نِمْسِهِم الوفِيِّ يُحَقِّقون كُلٌّ مِنْهُم من جِهَتِه، ليَجْتَمِعوا في اليومِ التَّالي قَبْلَ الظُّهْرِ بِقَليلٍ لكي يُقَيِّموا ما تَوَصَّلُوا إليه من نَتائِج.

اكْتَشَف فادي بأنَّ كمالاً كان يَعْمَلُ مُدَرِّباً على تَسَلُّقِ الجِبالِ.

– إذاً، استَنْتَجَ فادي، إنَّ هذا المُدرِّبَ قَدِ اسْتَطاعَ بِكُلِّ سُهُولَةٍ نُزولَ المُنْحَدرِ الصَّخرِيِّ وتَمَكَّنَ مِن سَرِقةِ البيضَة.

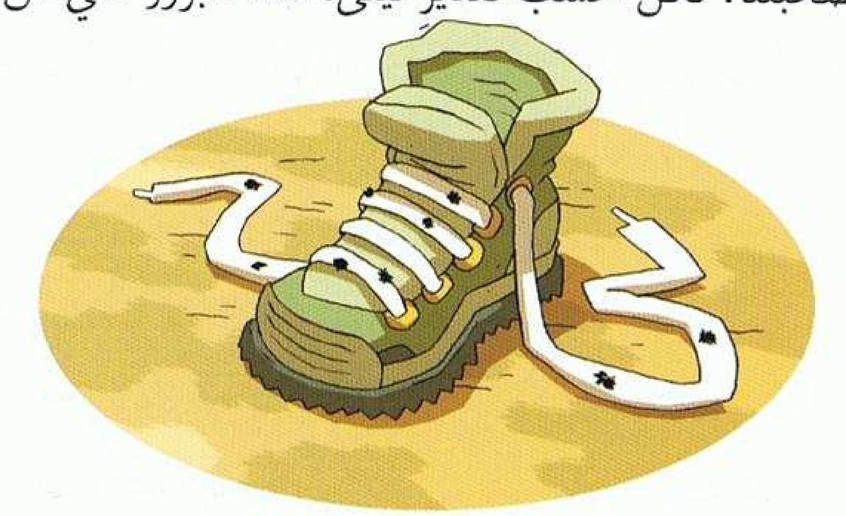
– ولأَجْلِ ذلك، اعْتَرَضَتْ منى، كان يَجِبُ على كمال اجْتِيازَ وادي الأخدود. ولكنَّ ذلك يَتَطَلَّبُ ساعاتٍ طِوالاً بالسيَّارة. أنا أشُكُّ أَكْثَرَ بليلى، فهيَ الوَحيدَةُ التي تُجيدُ قيادَةَ الهليكوبتر.

– هذا صَحيحٌ، اعْتَرَفَ فادي، ولكِنْ لم يَسْمَعْ أَحَدٌ منا صَوْتَ الهليكوبترِ وهي تُقْلِعُ. ثُمَّ إنَّها تَبْدُو مُتَعَلِّقَةً بِعَمَلِها...

- أَعْتَقِدُ بأنَّني أَمْلِكُ الدَّليلَ الذي يُلزِمُنا، أَعْلَنَ وليد.

وَأَخْرَجَ من جَيبِهِ قارورَةً صَغيرةً تَحوي بُزورَ أَشْواكٍ سَوْداءٍ وَجَدَها وقد عَلِقَتْ برباطِ حِذائِهِ وهو عائِدٌ مِنَ الضِّفَّةِ الشمَاليَّةِ للوادي. وأَخَذَ مع سمُّوس يراقبانِ بِسرِّيَّةٍ تامةٍ أَحْذِيَةَ أفرادِ طاقمِ المَرْكَزِ.

- اجْلِسوا في مَقاعِدِكم، تابَعَ وليد. وَجَدْتُ هذهِ البُزورَ على أَرْبِطَةِ أَحْذِيَتِنا، وَأَحْذِيَةِ كمال وليلى ومنير، وهذا طَبيعِيٌّ. وأيضاً على رِباطِ حذاءِ رياض الذي لم يَكُنْ بِصُحْبَتِنا! لكن حَسْبَ تقديرِ ليلى، هذه البُزورُ تَأتي من



نَبْتَةٍ لا تَتَواجَدُ سِوى على الضَّفَّةِ الشَّماليَّةِ المواجِهَةِ أَكثر لأشِعَّةِ الشَّمْسِ. بكلماتٍ أُخرى: رياضٌ قد تَوَجَّهَ هو الآخَرُ إلى هناك!

وسارَعَ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ لإعلامِ أَهْلِهِم باكْتِشافِهِم هذا. ولكنَّ السَّيدةَ نعيم قاطَعَتْهُم قائِلَةً:

- رياضٌ متطَوِّعٌ منذُ ثلاثَةِ أعوامٍ! وهو يَحْظَى باحْتِرامِ وتَقْديرِ الجميع. لِمَ يَقُوم بِسَرِقَةِ البَيْضَةِ؟

- بالإضافَةِ إلى ذَلِكَ، تابَعَ السَّيِّدُ نعيم، فالسَّيارَةُ بعيدةٌ عن مَتناوَلِه. فَكَيْفَ له إذاً الوُصولُ إلى الجِهَةِ الأُخْرَى مَشْياً على قَدَمَيْه خِلالَ ليلةٍ واحدةٍ؟ كلا، إنَّ بُذُورَ تِلك النباتاتِ مَصْدرُها مكانٌ آخَرَ.

وأَضافَتْ والِدَةُ الأَطْفالِ.

- بعد تَنَاوُلِ الطَّعامِ، اقتادَتْنا ليلى وزميلاها إلى مَوْقِعٍ آخَرَ تَتَواجَدُ فيهِ الأَعْشاشُ. فَبدلاً من الشَّكِّ بالمِسْكينِ رياض القابِعِ وَحيداً هنا، ساعِدوه بالأَحْرَى على مراقَبَةِ الطُّيورِ.

تَمَحْوَرَتْ شُكوكُ حُرَّاسِ الطَّبيعَةِ حَوْلَ شَخْصِ رياض، ولكن والدَيْهِما وَجَدا صُعوبَةً في تَصْديقِهم.

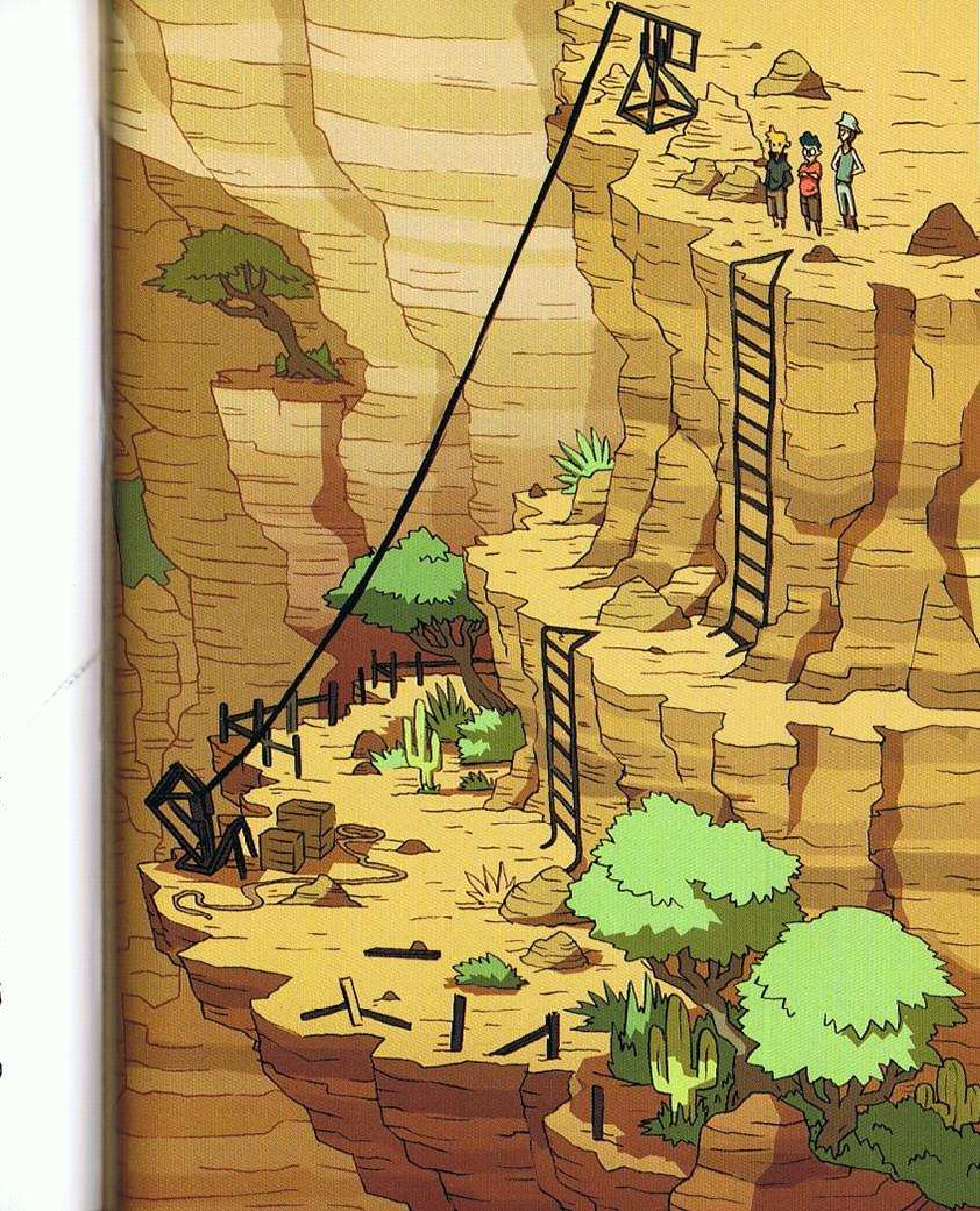
الفَصْلُ الخامِس

ضائِع؟

لا تُفَكِّرُ مُنى بالتَّخلّي عن البَحْثِ. فما إن أَدارَ الأَهْلُ ظَهْرَهم، حتى اقْتَرَحتْ:

– ماذا لو قُمْنا باسْتِكْشافِ مُحيطِ المَرْكَزِ؟ فَمِنَ المُمْكِنِ أن نَعْثُرَ على تِلْكَ النَّبْتَةِ الشَّهيرةِ في هذهِ النَّاحيَةِ؟

وبَعْدَ مَسيرِ رُبْعِ ساعَةٍ من الوَقْتِ، اكْتَشَفَ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ عندَ جانِبِ المُنحَدَرِ الصَّخريّ مكاناً مُشرِفاً صالِحاً للمُراقَبَةِ، ومن المُمْكِنِ الوُصولُ إليهِ عَبْرَ سلالِمِ مِنَ الحِبالِ وآلَةٍ سَبَقَ أن اسْتُعْمِلَتْ قَديماً لاسْتِقدامِ المُعِدّاتِ.



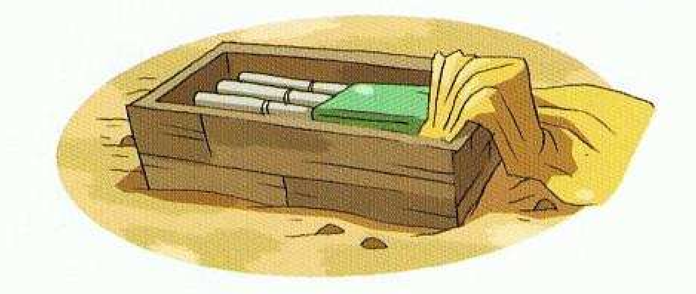
اسْتَخدَمَ الأولادُ السَّلالِمِ، وَبرِفْقَةِ سمُّوس، أَخَذُوا يَتَفحَّصونَ المَزْرُوعاتِ التي مَلأتِ المَكَانَ.

- تَعالَوا وانْظُروا إلى هذا، هَتَفَ وليدٌ متعجِّباً. هُناكَ طَرفُ غِطَاءٍ يظهرُ تَحْتَ الرَّمْلِ.

سارَعَ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ إلى سَحْبِ الغِطَاءِ لِيَكْتَشِفوا صُنْدوقاً يَحْتوي على قِطْعَةِ قُماشٍ وَأنابيبَ قابلَةٍ للتَوْصِيل.

- وَلَكِنْ ما هذا؟ تَساءَلَ وليد.

- طائِرَةٌ شِراعِيَّةٌ قابلَةٌ للثَّني، أَجابَ فادي. لقد رَأَيْتُ صُورَةً لها في إحْدى المَجلاَّتِ. أُراهِنُ بأنَّ السَّارِقَ اسْتَعْمَلها لِيَعْبُرَ إلى الجِهَةِ الأُخْرى. وهو يَنْسابُ في الفَضاءِ، دونَ ضَجَّةٍ، وَمَجْهودٍ يُذْكَر، تَماماً كطائِرِ الكُوندور!



فَكَّرَتْ مُنى لبُرهَةٍ وَتَمْتَمَتْ بصَوْتٍ مُنْقَبِضٍ:

- أيُّها الصِّبْيَةُ، هل تُشارِكُونِي أفْكَارِي؟

- طَبْعاً، أَكَّدَ لها وليد.

- إذاً، فَلْنَهْجُمْ! قالَ فادي مُسْتَنْتِجاً.



وَعادَ الأَوْلادُ إلى المَرْكَزِ يَتَقَدَّمهُم سمُّوس، وما إن تأكَّدوا بأنَّ رياضاً ما زالَ في الخارجِ يُراقِبُ الطُّيورَ، حتّى سارَعُوا باتِّجاهِ غُرْفَتِهِ.

- يا لَلْحظِّ البائس! اغْتاظَتْ مُنى وهي تُمْسِكُ مِقْبَضَ الباب بِيَدِها. إنَّهُ مُقْفَل!

- المُشْكِلَةُ لَيْسَتْ صَعْبَةً، أَعْلَنَ وليد. أَعْرِفُ أَيْنَ تَضَعُ ليلى المِفتاحَ الذي تُفْتَحُ بواسِطَتِهِ جَميعُ الغُرَفِ.

أَسْرَعَ وليدٌ باتِّجاهِ المَقَرِّ وَعادَ حامِلاً المِفْتاحَ المَطْلوبَ.

فَتَحَ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ الْبابَ وَبَدَؤوا عَمَلِيَّةَ التَّفْتيشِ.

- لا شَيْءَ تَحْتَ السرير....

- لا شَيْءَ داخِلَ الخزانَةِ...

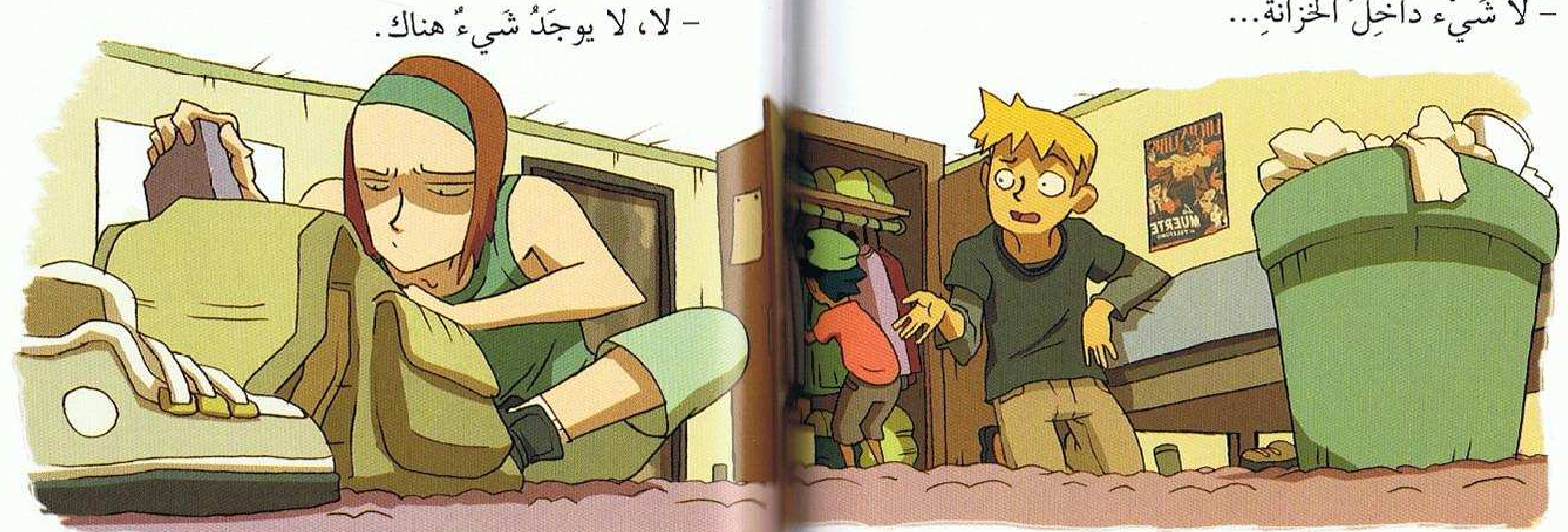
- ولا شَيءَ حتَّى داخِلَ حَقائِبه...

- دَعُونا نُفَكِّرُ، قالَتْ مُنى. إذا سَرَقْتُ بَيْضَةً نادِرَةً، فأَيْنَ سَأُخْفيها عن نَظَرِ الآخَرين؟

- في مكانٍ ما، حيثُ لا يَخْطُرُ ببالِ أَحَدٍ أن يُحاوِلَ تَفْتيشَه. أجابَها وليد.

- من المُمكنِ أن تَكُونَ قد وُضِعَتْ بعد تَغْليفِها في خَزّانِ دُورَةِ المِياهِ؟

- لا، لا يوجَدُ شَيءٌ هناك.



- تَحْتَ أَرْضِيَةِ الغُرفَةِ...
- ولكن أرْضِيَةَ الغُرْفَةِ مُغَطَّاةٌ بالإسْمَنْت...
- إذاً، أنا أَعْرِفُ أَيْنَ أَجِدُها! أَعْلَنَتْ مُنى.

وَمَدَّتْ يَدَها داخِلَ سَلَّةِ المُهْمَلاتِ، وَأَزاحَتْ بَعْضَ الفَضَلاتِ وَأَخْرَجَتْ صُنْدوقاً لَمْ يُلمَسْ بعد. وازدادَتْ نَبَضاتُ قَلْبِها حين رَفَعَتِ الغِطاءَ لتَجِدَ داخِلَهُ بَيْضَةَ طائِرِ الكوندورِ المَفْقودَةِ تُغَلِّفُها بعضُ الأعْشابِ.



- لِنَخرُجْ من هُنا في الحال! أعْلَنَ وليد.

وتَوَجَّهَ فَريقُ حُرَّاسِ الطَّبيعَةِ إلى البابِ الخارِجيِّ، لِيُفاجَؤوا بِوَقْعِ أقْدامٍ في المَمَرِّ. فَتَسَمَّروا في مكانِهم على أثَرِ ذلِك.



- لِنَخْتَبِئ! قال لهم فادي.

لم يَكُنْ أَمامَ سمُّوس والأولادِ إلاَّ القَليلَ من الوَقْتِ لِيُنزلِقوا تَحْتَ السَّريرِ. وإذْ بِحِذاءِ رياض يَظْهَرُ أمامَ المَدْخَلِ. أخذ وليد ومنى وفادي يتبادَلون نَظْرَةً مِلؤُها الخَوْفِ. هل بإمكانِ رياض أنْ يَكْشِفَ مكان وجودِهِم؟

تَقَدَّمَ رياض بِضْعَ خُطُواتٍ، وَأَخَذَ يُطْلِقُ الشَّتائِمَ حينَ لاحَظَ أنَّ سَلَّةَ المُهْمَلاتِ قد أُفْرِغَتْ مِنْ مُحْتَواها، ومِنْ ثَمَّ تركَ غُرفَتَه.

- لقد نَجَوْنا!



- هيّا لنَهْرُبْ! تَنَهَّدَ وليد.
- سأُعْلِمُ والدانا، أعْلَنَتْ منى وهي تُخْرِجُ الهاتِفَ

المَحْمولَ من جَيْبِها.

وَطَلَبَتْ بِسُرْعَةٍ رَقْمَ الهاتِفِ وهِيَ لا تَزالُ مُخْتَبِئَةً تَحْتَ السَّريرِ. وَصادَفَ في نفسِ الوَقْتِ أن عادَ رياضٌ أَدْراجَه. وانْحَنى على مُسْتوى السَّريرِ وانْتَزَعَ بِغَضَبٍ الهاتِفَ المَحْمولَ والصُّندوقَ من بين يديّ منى. ثَمَّ خَرَجَ من الغُرْفَةِ مُقْفِلاً وَراءَه الباب بالمِفْتاح.

- بِسُرْعَةٍ! هيَّا بنا نَخْرُجُ من النَّافِذَة، اقْتَرَحَ فادي. يَجِبُ أن نُطْلِقَ الإنذارَ!

لكنَّ رياضاً، الذي قامَ بجَوْلَةٍ حَوْلَ المَبْنى، أَغْلَقَ النافِذَةَ الخَشَبِيَّةَ في وَجْهِ حُرَّاسِ الطَّبيعَةِ وَأَحْكَمَ إغْلاقَها بِقِطْعَةٍ خَشَبِيَّةٍ غَليظَةٍ. حاوَلَ الأولادُ دَفْعَ العصا بِكُلِّ قواهِم، ولكِنَّها لم تَتَزَحْزَحْ من مكانِها

- في هذهِ المَرَّة، تَنَهَّدَ فادي، وهو يَرْتَمي على السَّيرِ. أَعْتَقِدُ أننا خَسِرْنا...

افْتَضَحَ أَمْرُ رياض من قِبَل حُرَّاسِ الطَّبيعةِ، فَقامَ بِحَجْزِهِم في غُرْفَتِه قبل أن يَهْرُبَ وفي حَوْزَتِه بيضَةُ طائِرِ الكوندورِ.

الفَصْلُ السَّادِس

قابَ قَوْسَيْن أو أدنى

لَنْ تَبْقى منى وَقْتاً طويلاً مَهْزومةً.

- لا! صَرَخَتْ وهي غاضِبَةٌ. أَرْفُضُ التَّأَوُّهاتِ والتَّحسُّرِ بينما يَسْعَى رياضٌ للفِرارِ! فَكِّرْ يا وليد بِطَريقَةٍ ما لإخراجِنا من هنا.

- أُودُّ ذلك. هَمَسَ وليد وهو يَجولُ بِنَظَرِهِ في الغُرْفَةِ بَحْثاً عن مخرَجٍ، ولكنَّه لم ير شيئاً...

وفَجْأَةً تَوَقَّفَ عن الْكَلامِ عندما لفتَتِ انْتِباهَهُ فُتْحَةُ التَّهْوِئَةِ المَوْجُودَةِ في أسفَلِ الْبابِ.

- مِنْ هُنا!



– ولكن ما هي الجُرْعَةُ العَجيبَة التي يَجِبُ علينا أن نَتَناوَلَها ليَصْغُرَ حَجْمُنا ونُصبِحَ بِحَجْمِ الفئرانِ؟ أين نَجِدُ مثلَ هَذِه الجُرْعَة؟

– هل نَسيتِ سَمُّوس وقَامَتَهُ النَّحيلَة!

وبواسِطَةِ سِكِّينِ الجَيْبِ التي يَحْمِلُها فادي دائماً، انْتَزَعَ وليدُ غِطَاء فُتْحَةِ التَّهْوِئَةِ ثم تَمْتَمَ في أُذُنِ نِمسهِ:



– سمُّوس! ادْخُل من هنا وحاوِلْ أن تفتح لنا النَّافِذة الخَشبيَّة!

تَسلَّلَ النِّمْسُ، هذا الحَيوانُ المعروفُ عَنْهُ بأنَّه الأكْثَرُ ذَكاءً بينَ أبناءِ جِنْسِهِ، مباشرةً عبرَ الفُتْحة. وما هي إلاَّ لَحظاتٌ حتَّى وَصَلَ إلى أسفَلِ النَّافذةِ وَحاوَلَ دَفْعَ العَصَا الغَليظَةِ بجَسَدِه.

– إنَّها ثقيلَةٌ جِدًّا، أبْدَى فادي قَلقَه وهو يراقِبُ ما يَحْصُلُ عبرَ شِقِّ النَّافِذَةِ الخَشَبيِّ. لن يَتَمَكَنَ سمُّوس من تَحْرِيكِها البتَّةَ!



– سمُّوس! ناداه وليد، احْفِرْ! احفِرْ تحتَ قِطْعَةِ الخَشَب.

وَبَدأ سَمُّوس، الذي يَعْتَبِرُه حُرَّاسُ الطَّبيعةِ جالباً لِلحظِّ، يَحْفِرُ في الأرضِ. فَأخَذَتْ قطعَةُ الخَشَبِ الغَليظةِ

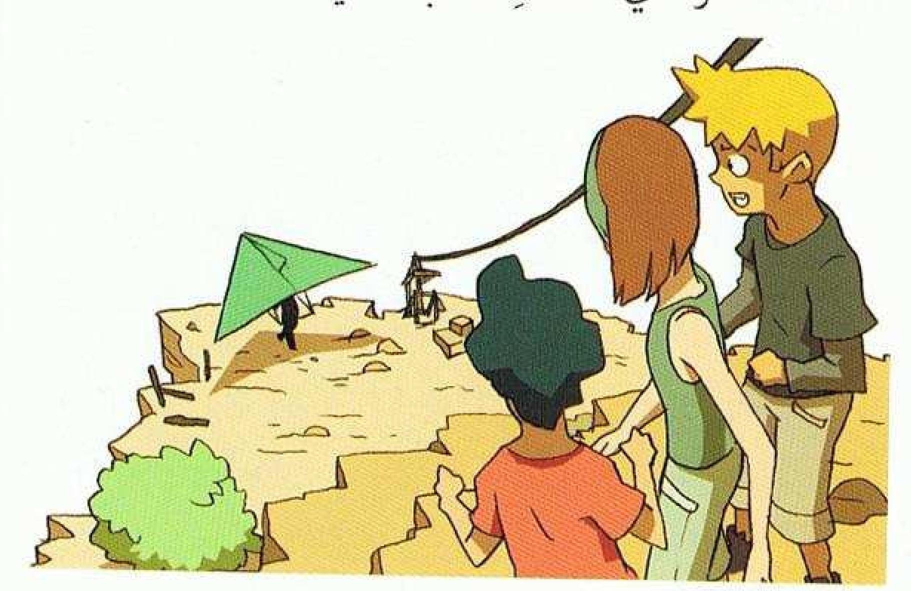
تنْزَلِقُ شيْئاً فشَيْئاً. وبعد دَقيقَةٍ من الجُهْدِ المُضْنِي تَهاوَتْ على الأَرْض، فَقفَزَ الأولادُ إلى الخارِجِ من النَّافِذَةِ.

- لِنَهْرَعْ جميعاً باتِّجاهِ الطائرَةِ الشِّراعيَّة! قالَت مُنى.

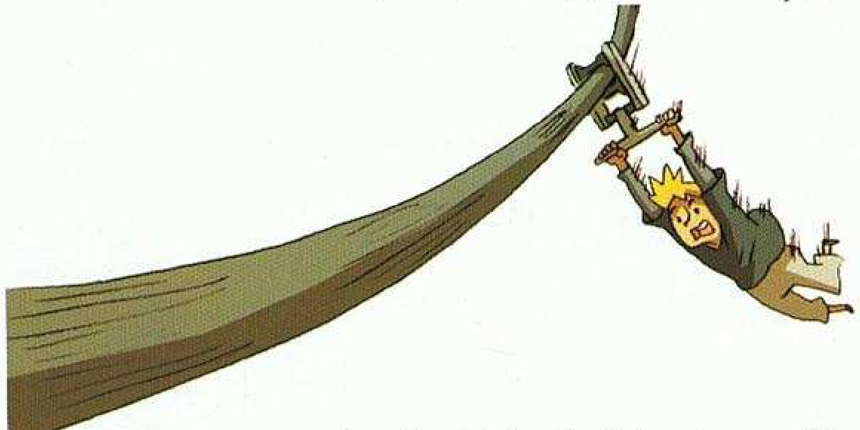
سارَعَ فَريقُ حُرَّاسِ الطَّبيعَةِ باتِّجاهِ شُرْفَةِ المُراقَبَةِ القَديمَة. وبِوُصُولِهم إلى أوَّلِ سُلَّمٍ، شاهَدُوا الطَّالِبَ رياض وقد أنْهى تَرْكيبَ طائِرَتِه وكانَ مُسْتَعِدًّا للتَّحْليقِ.

- فاتَ الأوانُ! هَتَفَ وليدُ بغَيْظٍ.

- هذا ما سَنَراهُ في الحالِ، أجابَ فادي.



وعِوَضاً عن اسْتخدامِ السَّلالِمِ، أَمسكَ فادي، وهو الأكثرُ لياقَةً جَسَديَّةً بين فريقِ حُرَّاسِ الطَّبيعةِ، بآلَةٍ خاصَّةٍ لِرَفْعِ المَوادِّ الصُّلْبَةِ لِيَلْحَقَ برياض.



- فادي، هل جُنِنْتَ! صَرخَتْ به مُنى.

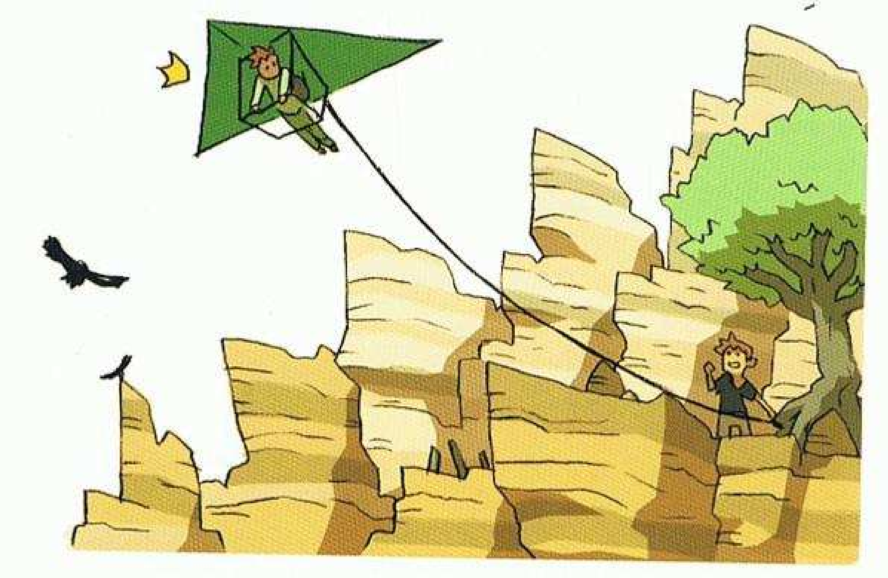
- لا تقلَقِي، لقد سَبَقَ لي أن تَدرَّبْتُ على الألْعابِ البَهْلوانيَّة. وبقَفْزَةٍ واحدةٍ رَمَى بنَفْسه في الهَواءِ.

- لا أستطيعُ رؤيَةَ هذا المَشْهَدِ. عَبَّرَ وليد بخوفٍ عن قلقِه.

لم يَسْتَغْرِقِ الأمرُ بفادي سِوى بِضْعِ ثَوانٍ ليَبْلُغَ الشُّرْفَةَ. بَعْدَها قَفَزَ إلى الأرض، وَأمسْكَ بِحَبْلٍ للتَّسلُّقِ كانَ قد تَرَكَهُ رياض وسارَعَ باتِّجاهِ حافَّةِ المُنْحَدَرِ الصَّخْرِيِّ،

حيثُ كانَ رياض يَتحضَّرُ للتَّحْليق. وَهجَمَ على جَناحِ الطَّائِرة، والْتَقَطَ بَعْدَ جُهْدٍ حافَّةَ الجَناحِ الخَلْفيَّةِ، لكِنَّهُ اضْطُرَّ لإفْلاتِ قَبْضَتِهِ عنها كَي لا يَسْقُطَ في الهُوَّةِ.

- إلى اللِّقاءِ! إلى اللِّقاءِ! ابْتَعَد رياضٌ والفَرَحُ بادٍ على وَجْهِهِ، تَحْمِلُه الطائِرَةُ الشِّراعِيَّةُ إلى أَعْلى.



نَهَضَ فادي، ودلَّكَ رُكْبَتَيْهِ، نظراً لما لَحِقَ بِهِما مِنْ أذًى. وتَمْتَمَ قائلاً:

- ابتَهِجْ يا رياض، سَوْفَ تَنْتَظِرُك مُفاجَأةٌ هامَّةٌ، خِلالَ

العَشْرِ ثَواني القادِمَةِ!

صَحِيحٌ أنَّ فادي لم يَسْتَطِعِ الإمْساكَ برياض، ولكنَّهُ في المُقابِلِ نَجَحَ في رَبْطِ حَبْلٍ إلى أَحَدِ أَسْلاكِ الجَناحِ.

- هيه! ما الَّذي يَجْري؟ صاحَ رياض فجأةً وهوَ يَشْعُرُ بِبُطْءٍ في انْدِفاعِ طائِرَتِه.

فأدارَ رَأْسَه وَلَمَحَ فادي يوثِقُ الطَّرَفَ الآخرَ للحَبْلِ إلى جِذْعِ شَجَرَةٍ.

- آه لا! صَرَخَ رياض.

لم يَعُدْ باستِطاعَةِ رياض فِعْلُ أيِّ شَيْءٍ، فطائِرَتُه، قَدْ تَوَقَّفَتْ عَنِ الحِراكِ، ولم تَلْبَثْ أَنْ تَدَحْرَجَتْ آخِذَةً بعد ذَلِكَ في الدَّوَرانِ حَوْلَ نَفْسِها كَفَراشَةٍ عِمْلاقَةٍ نَسِيَتْ كيف تُحلِّقُ بِجَناحَيْها. وانْتَهى بهِ الأمرُ مُعلَّقاً على المُنْحَدَرِ الصَّخْرِيِّ على عُلُوِّ مِئَةِ مترٍ مِنَ القاعِ.

- آه هكذا! سَخِرَ فادي. أحياناً تكونُ الحَياةُ مُعَلَّقَةً بِخَيْطٍ رَفيعٍ!

بفَضْلِ سمُّوس، لم يبقَ الثُّلاثيُّ مَسْجُوناً لِوَقْتٍ طويلٍ. وعلى حِسابِ مُجازَفَتِهِ تمكَّنَ فادي من توقيفِ رياض.

الفَصْلُ السَّابِع

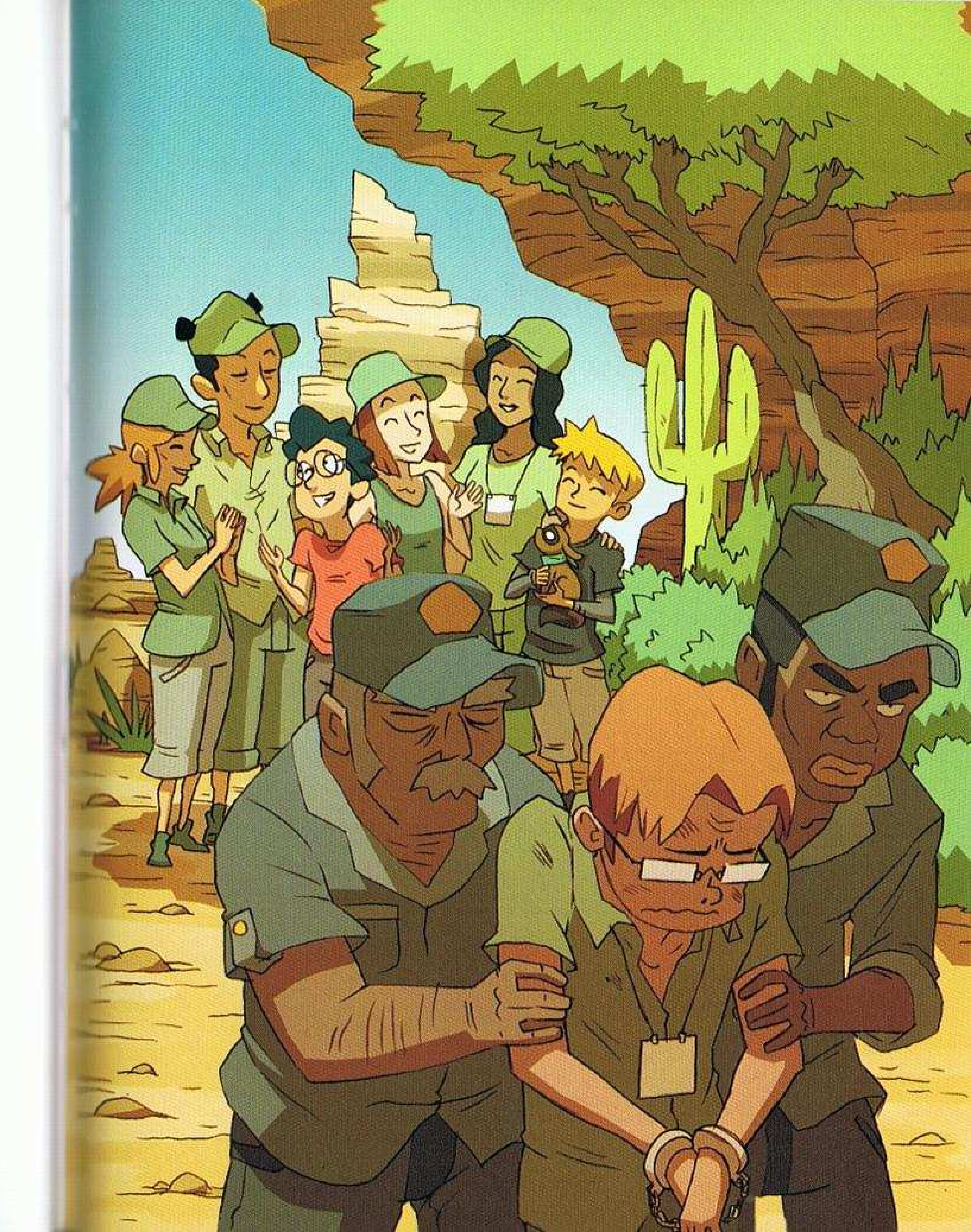
ح.ط.ر

بَعْدَ مُضِيٍّ ثلاثِ ساعاتٍ، كان حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ، يَحْتَفِلونَ بالنَّصْر. فَقَدِ اعْتَرَفَ رياضُ بكُلِّ شَيْءٍ. إذ إنَّهُ كان يَعْتَزِمُ بيعَ بَيْضَةِ الكوندور التي سَرَقَها لهاوِي جَمْعِ البَيْضِ النَّادِرِ في أَمْريكا اللاتينيَّةِ مُقابِلَ مبلغٍ من المالِ يُقارِبُ الخمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دولار.

- ما كُنْتُ لأشتَبِهَ بِهِ أَبداً، عَلَّقَ السَّيِّدُ نعيم. لو لم تَسْقُطِ البَيْضَةُ المُزَيَّفَةُ من بين يدَيْهِ...

- حَمْداً لله، تابَعَتِ السَّيِّدَةُ نعيم. فإنَّ ثُلاثيَّنا المَصْدومِ حاضِرٌ.

- إنَّكُم لأَبْطالٌ حَقِيقيُّون. أَعْلَنَتْ ليلى.



- أوه، قالَ فادي وَقَدْ احمَّرَ وَجْهُهُ خَجَلاً. فَبِدُون هذا النِّمْس، لما كان بالإمكانِ القيامَ بأيِّ شيءٍ.

- هذا صَحيحٌ، أثْنَتْ عالِمَةُ البيولوجيا على كلامِهِ. فَأَنْتُم تُشَكِّلون رُباعِيّاً مُهيباً. وإن وافقَني السيدُ داود، فسوفَ أقْتَرِحُ عليكُمْ إنجازاً آخر.

واسْتدارَتْ نحو فادي واقْتَرحَتْ عَلَيْهِ أن يَضَعَ بِنَفْسِهِ البَيْضَةَ داخِلَ العُشِّ، فالأُنْثَى لم تُبارِحْه بَعْد، كما أَوْضَحَتِ العالِمَةُ. بإمكانِنا أن نُنْقِذَ حَضْنَةَ البَيْضِ.

- أوه! تعَجَّبَتْ منى. سيكونُ الأمرُ رائعاً!

- خاصةً، أضافَ وليد، إنْ نَجَحَتِ المُناوَرَةُ وتَمَكَّنَ فَرْخٌ صَغيرٌ مُتَوحِّشٌ من طائرِ الكوندورِ خلالَ بِضْعَةِ أَشْهُرٍ أن يُحلِّقَ فوقَ وادي الأُخدُودِ الكبير.

- أَعْرِفُ مُسْبَقاً الاسْمَ الذي سَأُطْلِقُهُ عليه، صَرَّحَتْ ليلى. إسمٌ يَحْمِلُ تَكْرِيماً لكم. إن وافَقْتُم بطبيعَةِ الحال...

- ما هو هذا الاسْمُ؟ سألَ السَّيِّدُ نعيم.

- حطر.

- حطر؟ اسْتَغْرَبَ وليد.

- نَعَم، أَكَّدَتْ ليلى. لأنَّني أُريدُ من وراءِ التَّسميَةِ أنْ يُدرِكَ العالَمُ بأسْرِهِ أنَّ «حُرَّاسَ الطَّبيعَةِ رائِعُون»، ح.ط.ر.

ونِسْبَةً للمِزَاجِ العامِّ الفَرِحِ فإنَّ العَرْضَ هذا قُبِلَ بالإجماعِ!





1 المؤلف

جان ماري دوفوسيز: قامَ جان ماري دوفوسيز بدراسَةٍ معمَّقةٍ على الحيواناتِ. حتَّى إنَّه قد أَخَذَ عيناتٍ من دمِ البزَّاق. وهذا ليس بالسَّهلِ! فمنذ بِضْعِ سنواتٍ، تَخَلَّى عن حِقَنِه مُفَضِّلاً عليها القلمَ.

لم يتسَنَّ له يوماً إنْقاذَ أيٍّ من طيورِ الكوندورِ لكنَّه وَفَّرَ العنايَةَ المطلوبةَ لِفَرْخِ طائرِ الشاهين (طائرٌ من الجوارِحِ يُشبِهُ العُقابَ) عندما تَهاوَى من عُشِّهِ. وتواجَدَ هذا العشُّ داخِلَ حائِطِ منزِلِه الذي أصبَحَ بمثابَةِ ملاذٍ حقيقي للحيواناتِ.

2 الرسّام التصويري

إنّه الرجل الكتوم الذي يعشق الليل، والذي نشأ وترعرع في «السين والمارن». وقد تعلّم فن الرسم وأتقنه في مدرسة الفن التزييني في «ستراسبورغ». فتعمّق في الطبيعة الإنسانية.

تستهويه الفنون وخاصة الفن السابع، والرسوم المتحركة، والكتب المصوّرة. ومع قليل من الحظ، فقد تُفاجىء الرجل في عرينه، وهو يقلّم أظافره، ويحفّ أقلامه على بعض الأوراق.

الفهرس



حرّاس الطبيعة

في هذه السلسلة





خطر يهدد السلاحف



منى
المغامرة
في: 05.01.06
منى
0001

فادي
الرياضي
في: 06/08/05
فادي
0002

وليد
المفكر
في: 06/08/05
وليد
0003



أمريكا الشمالية

وادي الأخدود الكبير

أوروبا

آسيا

أفريقيا

أمريكا الجنوبية

أوقيانيا

هَلْ تَعلَم؟

وادي الأخدود الكبير

يَقَعُ وادِي الأخدود الكبير شمال ولايَةِ أريزونا في الولاياتِ المتّحدَة الأمريكيّة، وهوَ عِبارَةٌ عَنْ مُقاطعَة صَحْراوِيّةٍ تتخلّلها مُنحَدَراتٌ صَخْريّةٌ وَعِرَةٌ هائِلة، تكَوَّنَتْ بفعل عُبُورِ نَهْرِ كولورادو في أرْجائها.

وقد نَجِدُ في هذا المُتَنَزّه الطبيعي أنواعاً عَديدةً من الحَيواناتِ المَحْمِيّةِ كالكوندور.

حقائق ومعلومات
نسر الكوندور

يُعَدُّ نَسر الكوندورِ في كاليفورنيا أحَد أندَر الطيور الكبيرة في العالَم. يَبلُغ طول باع جَناحَيه 2.80 متر. ولا يَفوقه في طول جَناحَيه سوى طائر القَطْرَس، وأيضاً نَسيبه كوندور جبال الأنديز.

يَنتمي الكوندور إلى النسور. وهو لا يصطاد طريدته أبداً، ولكنّه يتغذّى على جِيَف الحيوانات. وهو يتمتَّع بنظر ثاقب بشكل استثنائي، وقادر على رؤية جيفة الحيوان من على بعد عدَّة كيلومترات.

لا يبني الكوندور عشًا. ولكنّه يأوي في مغارة صغيرة منحوتة في سفح جرف شاهق، ويضع بيضه مباشرة على الصَّخر.

لقد حاز «برنامج حماية الكوندور» حاليًا على نجاح كبير، بسبب تربية الكوندور وإعادته إلى الطبيعة، فتزايدت أعدادها من 27 نسراً في العام 1982 إلى 277 نسراً في العام 2005.
ومع ذلك، فإن هذه الحالة تبقى حرجة لأن هذه الطيور تُعاني من التسمُّم بالرَّصاص المُستخدَم في خراطيش البنادق. فهي تمتصّ هذا الرصاص عندما تلتهم جيَف الحيوانات التي يقتلها الصيّادون ويتركونها في الطبيعة.

كلمات مُفيدة

تريلوبيت
حيوان بحري ثلاثي الفصوص، ينتمي إلى القشريّات، مُنقرِض، يُشبه إلى حدٍّ ما الإربيان أو القريدس.



باعُ جناحَي طائر
المسافة ما بين جَناحَي الطائر عند بَسطهِما.



حاضِنة
مكان تُوضَع فيه بيوض الطيور لتفقيسها، والاعتناء بالفراخ الصغيرة.



مِقراب
نوع من التلسكوب موصول بكاميرا.



جامع البيض
هاوٍ مُتخصِّص في جمع البُيوض النّادرة.

حرّاس الطبيعة

سرقة طائر الكوندور

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION



» بَيْنَما كانَ وليدٌ يَبْحَثُ عن المُتحَجِّرات،
أخذَ فادي يُصَوِّرُ مياهَ نهرِ كولورادو العَكِرَةِ المُتدَفِّقَةِ
التي تَجْرِي على بُعْدِ مِئَةِ مِتْرٍ إلى الأسْفَل.
- طائِرُ الكوندور! صرَخَتْ مُنى فَجْأَةً مُتَعَجِّبَةً.
فقد ظَهَرَ طائِرٌ كَبيرُ الحَجْمِ، مُحلِّقاً في أَعالي
السَّماءِ مُعْتَمِداً على اتِّساعِ جَناحَيهِ العِمْلاقَيْن،
فَبَدا يَتَهادَى في الفَضاءِ دونَ أن يَكونَ بحاجةٍ
لِتَحْرِيكِهِما. »

في قلب وادي الأخدود الكبير، ينهمك حرّاس الطبيعة في سباق مع الوقت، ولن يمنعهم أيّ شيء من العُثور على البيضة المسروقة لنسر الكوندور في الوقت المحدّد ورؤيتها وهي تفقس.


9 789953 375403